

وُكَلَّاءُ إِبْلِيسَ

رواية

الطبعة الأولى

2022م/1444هـ

وُكَلِّئْ إبليس

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع لصاحب الفضل بعد الله
عز وجل لما وصلت إليه اليوم, والدي الحبيب
وإلى زهرة أيامي وشمسها ونورها أمي الغالية
ولكل من ساهم بدعمه وتشجيعه ومؤازرته
أهدي هذا الكتاب

مقدمة الكاتب

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيد الخلق وإمام الأنبياء محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام وبعد.

بعد عام كامل من الكتابة والتنقيح، وبعد لحظات اليأس والتردد والفتور، أتممت بحمد الله تعالى إنهاء هذه الرواية التي تعد الأولى لي في طريقي نحو تقديم نص عربي يجمع بين المتعة والفائدة، ويأخذ القارئ لعوالم أخرى من الجمال والأحداث.

حاولت في هذا الكتاب أن أقدم لوناً يجمع بين إبداع الصور البديعية والتمثيلات التي يذخر بها أدبنا العربي، وروعة التشبيهات في الأدب الروسي، والأحداث المتشابكة في الأدب الإنجليزي، وأسأل الله العلي العظيم أن يكون هذا العمل ذا طابع خاص يترك في نفوس القراء أثراً يعيد الشغف للقراءة من

جديد, أن يكون نجاح هذا العمل حافزاً ليشكل باقورة
أعمال أخرى يستمر فيها القلم بخط ما يجول
بخاطري

والله من وراء القصد

الكاتب

وُكَلَاءُ إِبْلِيسَ

تدور أحداث هذه القصة حول فتاة تقع في حب شاب في أحد أحياء دمشق, ليجد الشاب نفسه في دوامة من الأحداث الغامضة والمتشابكة, ويكتشف تورط حبيبته بأحداث جسيمة, تجعل من الحبيين ملاحقين من جهات مختلفة, وتتعدد الأحداث شيئاً فشيئاً, قبل أن تنفرج الرواية بخاتمة لقصة عشق ولدت في حالة حرب قاسية

كافة الأسماء والأحداث والشخصيات التي وردت
في هذه الرواية هي من نسج خيال الكاتب وليس
لها أي علاقة بالواقع وأي تشابه في الأسماء هو
مجرد مصادفة

قبل العاصفة

كانت الساعة تشير للواحدة ظهراً والشوارع كعادتها في مثل هذا الوقت من العام تكاد تخلو تماماً سوى من بعض المارين اضطراراً لقضاء بعض مصالحهم والسكون يسود شوارع اللادقية الفرعية سوى من صوت صفير الريح وبعض الأوراق ومخلفات المارين المتطايرة بفعل الرياح الخماسينية الملتهبة أما درجات الحرارة العالية فقد كانت تضيء على وجه تلك الفتاة التي وصلت لأواخر العشرين حمرة تزيد جمالها جمالاً تخالها أشبه بوردة حنونٍ تفتحت في غير موعدها

كانت شام تسير في حالة من التوتر والاستفزاز على غير عاداتها، فمن يراها اليوم بالكاد يعلم بأنها هي نفس تلك الفتاة التي تختال في مشتها بثقة وحزم يضيفان إلى جمالها جمالاً

إنها ليست نفس تلك الفتاة التي تلاحقها عيون
الحالمين بوصلها وكل أملهم أن تجود عليهم بنظرة
حانية أو ابتسامة عابرة تشق نافذة للنور تجتاز تلك
الشفاه المنحوتة ما بين الرقة والغلظة

وعلى الرغم من آلاف الرسائل الإلكترونية التي
تستقبلها شام فهي لم تعر أياً منها قليل اهتمام
وجعلت من الحالمين مجرد تائهين في أمواج رمال
الصحراء المترامية يركضون خلف سراب ظنوه
ماءً ولكن هيهات أن يتحصلوا منه على قطرة
واحدة

كانت شام تسير بقوامها الممشوق وقد تغيرت تعابير
وجهها وتكاد تحدث نفسها وملاحمها تحولت من تلك
الفاتنة لوجه عابس تضرب أخماساً بأسداس دون أن
تنتبه لحركة يديها التي تفاعلت مع دوامة الأفكار
والغضب التي تجتاحها في طريق عودتها للمنزل

بعد مشوارها الذي تسبب بشكوك خالتها التي استضافتها في منزلها بعد 20 عاماً من الغربة في الولايات المتحدة الأمريكية, كان عمرها آنذاك 25 عاماً,

كانت شام تحيط نفسها بخصوصية عالية, واستقلالية في حياتها, ومع ذلك فإنها أقلمت نفسها مع القيم السائد في المجتمع, والأمر لا يختلف عن سابق سلوكها في أمريكا وإن كان الأمر لا يخلو من الانغماس أحياناً بالتححرر هناك

على مدخل المنزل من الخارج وقفت شام تعدل من هيئتها محاولة إعادة ملامحها لسابق عهدا ولكن كيف لهذه المحاولة أن تخفي ناراً قد اشتعلت في عيونها وهل سبق أن علمت أن عاشقاً هائماً قد استطاع اخفاء حبه؟

بسرعة دخلت شام إلى غرفتها وجلست على سريرها ممسكة بهاتفها المحمول وتنتظر إليه بغضب إنها المرة السابعة والعشرين التي تحاول فيها أن تتصل بآدم ولكن في كل مرة كان صوت الرد الآلي بترك رسالة يفقدها شيئاً من تماسكها ويصيبها بالجنون

- هل يعقل أن أطلب منه الخروج في هذا الوقت وأصر عليه ويتركني بهذا الشكل؟
- إذاً لماذا أخبرني بقدومه
- ترى هل كان يعبت معي أم أن شيئاً ما حدث؟

فجأة دخلت العمّة الغرفة بملامحها التي تبدو من خلالها دراية الأم بأحوال البنات وحصيلة ما عاينته بعينها على مدار أعوامها التي قاربت على الخمسين

وما سمعته من قصص وحكايات بحكم عملها
كمديرة لمدرسة البنات في المدينة

إنها أشبه بكتابٍ من أمهات الكتب التي جمعت كل
قصص العشق والغرام التي كانت تصلها من
طالباتها، ثم ألم تعش الأم ذاتها قصة حب عاصفة
في عنفوان شبابها وكانت هذه الملاك الطاهر اليافع
ثمرة هذا الحب العاصف؟

في الواقع كانت عمة شام تستذكر قصة حبها مع
زوجها مع كل وشاية تصل لمكتبها عن فتاة تُلقت
خطاباً غرامياً من طالب في المدرسة المجاورة،
فتكابد العناء لإخفاء ابتسامة خافتة تسللت إلى شفثيها
مع سيل الذكريات الجارف. وكثيراً ما ضبطت
رسائل الحب التي كانت تتباهى بها الطالبات بين
بعضهن غير أنها قصرت دورها في النصح
والإرشاد والتوجيه كأمر حقيقية وإن شعرت بأن

الأمر قد تخرج عن سيطرتها في بعض الحالات
كانت تتخذ موقفاً حاسماً وتخطب أهل الفتاة لتعلمهم
بطبيعة الأمر من واقع المسؤولية الأخلاقية

اقتربت من شام كالأم من ابنتها وكأنها تحاول
استرجاع تلك الأيام الخوالي والجالسة أمامها ليست
سوى طالبة طائشة جاءت بورقة كتب عليها شاب
مراهق بعض كلمات الحب التي سمعها في فيلم أو
أغنية من تلك التي تضج بها المواقع والقنوات
الفضائية

عدلت شام من جلستها وبدأت تفرك يدها بالأخرى
من التوتر

ما الأمر يا ابنتي؟ لقد عدتني بسرعة وعلى غير
طبيعتك هل حدث شيء ما؟

قالت العممة ذلك وجلست بجوار شام مثبتة

عينها على يديها

- أبدأ يا عمتي لم.....

- على الفور قاطعتها عمته دون أن تعطئها

أي فرصة للإجابة قائلة

- اسمعي يا ابنتي قبل أن تتحدثي بشيء أود

فقط تذكرك بأنني هنا لست تلك المديرة فقط

بل أنا عمته التي تتوغل داخلك لتعلم خبايا

قلبك دون أن تنطقي حتى, لذلك أصدقيني

القول وسأصدقك النصح والإرشاد

- أقسم يا عمتي لم يحدث أي شيء تقلقين منه

كل ما في الأمر أنني مستاءة فقط

قالت العممة بكل هدوء

- حسناً من الواضح أنك لا تملكين الشجاعة

لمصارحتي حالياً ولكن ثقي يا ابنتي بأنني

أمتلك من فطرة الأم ما يجعلني أشعر
بنبضات قلبك المتوتر ويداك التي انبرت
لكثرة ما فركتها ببعضها, على أي حال
سأنتظرك لتخبريني بما يشغل بالك

- لابس يا عمتي أعدك بأنني سأخبرك بأي
شيء يحدث معي

أغلقت العمة باب الغرفة خلفها لتتبعها شام وتتأكد
من إغلاق الباب بالمفتاح قبل أن تتوجه إلى أحد
أدراج مكتبها مخرجة دقتراً عليه طبقة من الجلد
الأصفر كان آدم قد اشترى اثنين منه واحد لها
وواحداً آخر له وطلب منها أن تكتب فيه ما يحلو لها
من الذكريات مهما كانت تافهة فهذه هي الطريقة
الوحيدة التي يمكن أن نرجع فيها بالزمن للوراء.

توجهت شام لتجلس في الشرفة وبالها مشغول جداً
بانقطاع الاتصال مع آدم منذ أكثر من ساعة حتى

الآن وما زاد من قلقها هو انقطاعه عن الإنترنت منذ
ثمانية ساعات تقريباً أي منذ خروجه من المنزل
برفقة سعيد الذي لم تكن على علم به أيضاً وهذه
المدة لم تعد عليها منه

لأول مرة منذ أن تعرفت على آدم وجمعت بينهما
إحدى المؤسسات الدولية, تشعر بهذا القلق والتوتر
لدرجة جعلتها على استعداد للتخلي عن كتمانها
ومحاولة الوصول إليه بأي ثمن فآدم لم يعد بالنسبة
لها شاب زميل عمل فقط, والعلاقة التي جمعتهما لم
تكن علاقة عابرة أو حب مرهقة

لقد شغل آدم تفكيرها تماماً ورأت فيه كل ما تحتاجه
وتبحث عنه, إنه كما تريد تماماً

لم تكن ترى أي رجل آخر يجلس مكانه أو يحظى
بحبها مثله, كيف لا وهو الشاعر المرهف الإحساس
والخجول الذي بالكاد تسمع صوته من الخجل.

مرت هذه الأفكار لعقلها في لحظة فتبسمت ابتسامة
خفيفة وتوجهت إلى دولاها وكأنها تقول لنفسها "إن
كان الظرف لا يسمح أن أجلس معه فلا شيء
سيمنعني من الجلوس مع طيفه وكلماته الرقيقة
وأحاسيسه الجياشة

قلبت شام الورقات الأولى لتقع عينها على أول
قصيدة كان قد كتبها آدم وأهداها لها

وقرأت...

اعترافات عاشق

مالكة القلب معذبتني

طاردت النوم من الأجفان

هذا تقرير أرسله وأقر به

من بعد رحيلك ما قد كان

أبدأ باسم الحب الصادق

باسم العشق الطاهر فينا

بسم جنون القلب الثائر

لا يعرف معنى النسيان

أحبيتك بعد رحيلك أكثر

أشتاق الضحكة في عينيك

وشكل القبلة في شفقتك

وضفائر باللون الأسمر

ملهمتي ال حب بعدك

تسهر عيني ليست تدري فيمن تسهر

أشتاق وروحي تسألني

عن شوق في روعي يكبر

أخفي في أعماقي سرّاً
شوقي لوصالك لا أكثر

قاتلتي

قلبي يسألني عن حلم
عشنا عمراً نرسم شكله
كيف الحب غدا هجراناً
وتحول أشياءً ضده
أقسمنا الأيمان بأننا
لن نترك للموت هوانا
إن زلت أقدامك أغفر
أو زلت قدمي يكفيني

قبلة صفح

نظرة عشق تملأ هذا القلب حنانا

وجعي الدائم..

في التوقع تركت الهاتف والعنوان

أسكن حيث وعدتك أني

بالحب سأعلي البنيان

لم أترك حلمك يهجرني

ففؤادي يأبى النسيان

تنهدت شام تنهيدة ظنت أنها وصلت بصوتها لمسامع

أمها خلف جدران الغرفة, وكأنها روت ظمأ قلبها

بهذه الكلمات التي كتبها آدم بعد انقطاع الدراسة

وهو ما حرم العاشقان اللقاء الذي اعتادا عليه معاً.

لقد أحبته حقاً على غير المخطط له

عادت شام لكابوسها الحاضر, لا بد أن يعلم بالكارثة,
ولا بد لها أن تتصرف قبل فوات الأوان

غياب قسري

لم تكن علاقة الصديقان مجرد صداقة عابرة, فهما
قضيا فترة التجنيد الإجباري معاً في نفس الوحدة
غير أن آدم قد أنهى خدمته وتوجه للعمل الحر أما
سعيد فقد قرر البقاء في السلك العسكري ودائماً ما
كان يحاول إقناع آدم بالانضمام لأحد أجهزة الدولة
معه, ويذكره بالأيام الخوالي التي كانا يقضيانها

سويماً في التدريب والخدمة ودائماً ما كان آدم يسخر
منه قائلاً

- اسمع يا سعيد أنا شخص لا أصلح للعمل
العسكري

- لماذا؟ قال سعيد

- يا أخي أنا شخص أعشق الكتب والشعر
والروايات ولا أرى نفسي سوى بين أكوام
الكتب وأحلم بأن أكون شاعراً أو كاتباً
يخاطب قلوب الناس

- وما المانع من أن تكون شاعراً وعسكرياً؟
قال سعيد

- المانع يا صديقي هو الإحساس فأنا إن قررت
الانضمام للجيش فإن شيئاً ما يموت بداخلي
وستتغير حياتي لتتطبع بالطباع العسكرية إلى
حد كبير

- هل تقصد أن العسكري لا يعرف الحب؟
- على الإطلاق ولكن هل يمكنه الكتابة في الحب والفكر والعاطفة؟
- لا أعلم.. قال سعيد

لم يكن آدم يتحفظ في حديثه مع صديقه سعيد على الإطلاق فهو لم يكن يعتبره مجرد صديق بل أشبه بمن يحدث ذاته, فكان لا يخفي عليه حتى أدق التفاصيل وأكثرها خصوصية ولعله الشخص الوحيد الذي شاهد كومة الرسائل المعطرة ومجموعة الهدايا التي يخفيها آدم في دولابه الخاص

الحقيقة أن علاقة آدم بسعيد لم تكن بدافع الثقة والحب فقط وإنما كان لشخصية آدم وطباعه أثر بالغ في ذلك إذ لم يكن من السهل على آدم أن يتعرف بأشخاص كثر ولم تكن تربطه أي علاقة

مع أبناء جيله حتى في أثناء مراحلہ الدراسية ,
فحياته التي قضاها في أطراف المدينة في أسرة
محافظة وتتجنب الاختلاط بالآخرين وحرص

اختار آدم زجاجة عطر فاخرة تشبه حبة الفراولة
وقد تم تصميمها لتكون كذلك تماماً لكنه أثناء
سيره شاهد ساعة يد جلدية بنية اللون نظر إليها
مطولاً وفت انتباهه تلك الفصوص الصغيرة من
الكريستال المرصع بها إطار الساعة من الخارج

- لا تقل أنك تريد شراء هذه أيضاً قال سعيد
- وما المانع؟ أجاب آدم بكل برود هازأ كتفيه
بلا مبالاة ودون أن يلتفت لصديقه
- ولكنك قبل قليل اشترت هدية باهظة الثمن يا
هذا
- ومن رام النجوم بغير بذلٍكمن بعد
الممات يروم عودا

- قهقهه سعيد قائلاً : حسناً يا صائد النجوم إفعل
ما تريد ولكن أعدك بأنك ستدفع الثمن يوماً
ما

بعد ساعتين ونصف من السير وصل الصديقان إلى
منزل آدم, بيت ربما مر على بناءه أكثر من نصف
قرن من الزمن يطل من الجهة الشرقية على أشجار
من الزيتون تراها وكأنها بلا نهاية ,وأما الجهة
الغربية فتطل على ساحة كبيرة كان صغار الحي
يجتمعون فيه عصراً للعب كرة القدم التي لطالما
تسببت بكسر زجاج نوافذ بيت آدم ما دفعه لوضع
حماية من الحديد على النوافذ

دخل الشابان للمنزل رغم إلحاح سعيد على عدم
الدخول متحججاً ببعض الأمور التي يجب عليه
القيام بها غير أنه رضخ أخيراً لرغبة صاحبه بتناول
الغداء معاً وخصوصاً بعد أن قام آدم بشراء طعاماً

جاهزاً ومشروباً غازياً من أحد مطاعم المشاوي
التي اعتاد آدم على الشراء منها لعدم وجود من
يطهوا له منذ أن أنهى خدمته العسكرية

- البيت بيتك قالها آدم متوجهاً إلى المطبخ
ليضع الطعام على المائدة

- ألا يوجد من يرتب لك البيت أيها الفوضوي؟
سأل سعيد

- لقد مر يومان دون أن أجد وقتاً لترتيب البيت
فغض الطرف فأنت في بيت شاب

- أعانك الله أيها العازب قالها سعيد متبعتها
بضحكة خفيفة وبدأ يتجول في الغرفة جيئة
وذهاباً

أثناء قراءته للأوراق التي على الطاولة أمسك سعيد
بأحد الكتب فإذا بصورة تسقط من الكتاب لفاتة
حسناً التقطها آدم لشام أثناء قضائها بعض الوقت

في منزله وكانت بقميص شفاف, كان سعيد تحت تأثير الصدمة لا يدري هل ما يراه حقيقي أم أنه مجرد تشابه لا أكثر

على الفور أخرج سعيد هاتفه وقام بالتقاط صورة فوتوغرافية وأعاد كل شيء لمكانه وثار عاصفة من التساؤلات في ذهنه

- ما هذا وما معناه ولماذا ولماذا

.....

لم يظهر سعيد لصديقه تلك العاصفة في داخله خاصة السؤال الأكثر قلقاً

" هل آدم يعرف؟ "

لم يكن آدم على علم بما يدور في عقل صديقه, تناول سعيد طعامه مع آدم وغادر مودعاً صديقه وفي داخله سيل من التساؤلات التي لم يستطع أن

يوجهها لآدم الذي أكمل هندامه قبل ساعة من اللقاء
الموعود

لم تستسغ نفس سعيد أن تمرر الأمر بدون إثارة
شكوكه تجاه صديقه, فالدولة في حالة حرب حقيقية
بين أطراف الصراع ولا يعرف ولاء من لمن؟

بدأ عقل سعيد يفترض كل الاحتمالات غير أن الأمر
بات شبه مؤكد لديه وبقي أمامه شيء واحد لفعله
ولعله قد تم بالفعل بعد أن طلب قوة لإلقاء القبض
على آدم طالباً إبقاء الأمر على أعلى مستويات
السرية والكتمان وأن يأتي الأفراد بزّي مدني.

توجهت القوة الأمنية فوراً لبيت آدم في حين تريث
هو قليلاً داخل السيارة قبل الانضمام للفريق, دون
أن يعلم حقيقة ما يريده حقاً هل يسعى خلف تبرئة
صديقه أم إثبات التهمة عليه...

حاول إقناع نفسه بأنه يبحث عن تبرئته ولكن أما
كان قادراً على سؤاله عن ذلك قبل اتهامه وتبليغ
الأجهزة الأمنية؟ يسأل نفسه

يشغل نفسه بإشعال سيجارة وينفث دخانها بكل
عصبية من طريقة إمساكه للسيجارة وسحب أنفاس
منها تحسبه يريد مضغها

- لا لم أكن قادراً

- لماذا؟

- حسناً في مجالنا هذا الاحتياط واجب

يقف آدم أمام المرآة يتأمل شكله قبل الخروج من
البيت, عاصفة من المشاعر الجياشة كانت تمتلك
نفس الشاب وهو يقوم بتصفيف شعره المذهب
الناعم, ويعدل من هندامه ويعد نفسه للخروج من
المنزل من أجل اللقاء المنتظر

فمنذ أسبوع وهو يعد نفسه ويجهز هديته للقاء محبوبته قبل أن يسمع طرقات غير معتادة على باب شقته, ليجد عشرة من الرجال بلباس مدني ينتشرون في الشقة بوجوه عابسة تدب الرعب في النفوس انصاع آدم لتعليماتهم مذهولاً وخر على ركبتيه واضعاً يديه خلف رأسه وهو يلتفت يميناً وشمالاً دون أن يفهم شيء

بدأ عناصر الأمن بتفتيش المنزل بطريقة دقيقة جداً ولم يتركوا ورقة إلا وقاموا بالتحفظ عليها ولا جهازاً كهربائياً إلا وتفحصوه جيداً

لم يكن يعلم آدم حقيقة ما يجري على الإطلاق, وأمام هول الصدمة وقف في ركن الصالة مكتف اليدين للوراء وعيناه شاخصةً على رجال الأمن الذين قلبوا المنزل رأساً على عقب

- ماذا فعلت؟ قالها للضابط والخوف قد تملك جسده تماماً تظهر في نبرة صوته حالة الذهول والخوف التي تملكته
- إخرس... قالها الضابط بنبرة تهديد ثم حول وجهه لعناصر الأمن قائلاً
- لاتدعوا مكاناً إلا وفتشوا فيه .. أريد كل شيء مفهوم!
- مفهوم ..قالها الرجال وانتشروا في كل أرجاء المنزل

دخل سعيد على شقة صديقه ولكن هذه المرة ليس كصديق وإنما كرجل أمن راودته بعض الشكوك تجاه مواطن ما وشاهد بعض الدلائل.

كان في صراع مرير بين صداقته وواجبه غير أنه بين هذا وذاك وجد نفسه ينادي على الضابط بصوت مرتفع , طالباً عدم التعرض لأدم بأي إساءة.

برقت عيون آدم بالفرح والاطمئنان بوجود صديقه,
منادياً عليه

_ سعيد !!

_ اسمي الرائد سعيد

ابتداءً من هذه اللحظة يا آدم قالها سعيد وهو يزيح
بصره عن صديقه لكي لا يضعف تجاه حزنه على
موقف صديقه.

_ تحت أمرك سيادة الرائد قالها مستدركاً, ولكن ما
هي جريرتي لكل هذا, ألم تكن سوياً قبل ساعات من
الآن؟

_ اسمع يا آدم سأكون واضحاً وصريحاً معك, ولكن
عليك أن تلتزم الصمت الآن لحين انتهاء التفنيش
وستحدث في مكتبي بكل شيء

عصبت أعين آدم وقام اثنان من العساكر باقتياده إلى
السيارة دون أن يعلم إلى أين يذهب أو ما هي
جريرته التي استحق عليها هذه المعاملة اللاإنسانية
على الإطلاق, خاصة وأن الإساءة والإهانة جاءت
من أقرب الناس لديه

بدأت عيون آدم تفيض بالدمع دون أن يعرف هل
هي دموع خوف من القادم الذي سمع عن بعض
أشكاله سابقاً أم يبكي من صاحب الطعنة الأولى في
جسده الذي تهالكت قواه.

كانت فترة خدمة سعيد وادم في الجيش سبباً في
تكون هذه العلاقة القوية بينهم , فكثيراً ما كان يلعب
الاثنان لعبة الشطرنج , ويمكنك من خلال مشاهدة
واحدة من التحديات الشرسة بينهم على حماية الملك
كم يمتلك الرجلان من انسجام في التفكير والمنطق,
وتلمس ميل آدم للاعتماد على تركيزه وتحليله لكل

خطوة يقوم بها سعيد وكأنه في موقف الدفاع فقط ,
في حين يعتمد سعيد على دهائه في إشغال خصمه
من خلال تكتيكاته لاستدراج الخصم لكمائن تفقد
الملك وزيره وقلاعه ويفقد عرشه وتاجه قبل أن يفقد
رأسه بالضربة القاضية.

لقد كانت شخصية سعيد ومؤهلاته كافية لأن تجعل
منه رجل مخابرات حظي بإشادة الجميع وترقى
بسرعة البرق ليصل لرتبة رائد في جهاز
المخابرات.

منذ ساعة تقريباً وآدم يجلس على كرسي مثبت
بالأرض وأمامه مكتب وكرسي في الجهة المقابلة,
ولعلها مطابقة تماماً لتلك الفترة التي قضتها شام
وهي تنتظر أن يكلمها آدم لتعلم ما حدث معه, في
الواقع لقد بدء القلق والتوتر يسيطر عليها بدلاً من

إحساس الغضب الذي كان يجتاحها قبل ساعة من الآن.

دخل سعيد غرفة التحقيق متوجهاً إلى كرسيه ليقوم بحمله ونقله مقابل آدم تماماً, وحين جلس كادت أن تلمس ركبته ركبته آدم.

اسمع يا آدم أنا وعدتك أن أكون صريحاً وأنا عند وعدي, لكن!!

إن خرجت من الباب قبل أن أحصل على الحقيقة منك فاعلم أن الشخص الذي سيكمل التحقيق معك ستكون طرقة أكثر خشونة يصعب عليك احتمالها, ولذلك فلتكن الصراحة متبادلة بيننا وأعدك أنني لن أسمح لأحد بإيذائك هنا, اتفقنا؟ قالها سعيد ساحباً مظروفاً كان بيده عن الطاولة وفتحه مخرجاً منه ثلاث صور كانت لشام وفي الصور الثلاثة كان

يظهر جرح صغير في أسفل الخاصرة يصل طوله
ل4 سنتمترات, ويظهر انتفاخ خفيف حوله,

أشار سعيد للصور الثلاثة وحدثه عن الصورة
وكيف رآها ثم أردف قائلاً

- هل ترى هذا الجرح يا آدم ؟

_ نعم قال آدم لقد سألتها عنه وقالت لي بأنه في
حادث السيارة الذي أودى بحياة والديها

_ ولكن تقاريرنا تقول بأن الحادث مجرد كذبة فأمها
لم تمت بحادث سيارة ووالدها توفي بظروف
غامضة

_ ولماذا تكذب بهذا الأمر

-لست بموقف يسمح لك بالتساؤل يا صديقي فأنت
هنا فقط للإجابة .. قالها سعيد بعد أن ترك الصور
أمام آدم على الطاولة ودار حوله ببطء شديد ليوقف

خلفه مباشرة واضعاً كلتا يديه على كتفي آدم,
ومقرباً فمه لأذن آدم وبهمس مخيف قال:

-لأن السبب أخطر مما تتوقع يا آدم

سادت لحظة صمت في الغرفة ثم قال سعيد بصوت
يحمل كماً مهولاً من الغيظ والرغبة بالانتقام

_خطير لدرجة أن هذا الجرح الذي تراه لا يتعدى
الأربعة سنتمتر هو في الحقيقة خيط سيوصلنا
لأخطر سلاح ستسمع عنه يا آدم, خطير لدرجة أنه
مؤشر على عمل قذر ربما تكون واحداً من ضحاياه,
خطيراً لدرجة أن من يحملوه يحملون معهم جرائم
لن تكون قادراً على استيعابها

_ لأنه جرح ليس عادياً .. إنه مثل الجرح لدى هذا
الشخص وهذا وهذا بنفس الطول ونفس المكان

وكلهم قادمين من الولايات المتحدة, وإليك المفاجأة

..

كلهم يعملون لجهاز المخابرات الأمريكي وعندما يتم
إلقاء القبض عليهم تتنكر لهم المخابرات وتتركهم
كالكلاب

_وما علاقة هذا الجرح

_إنه جهاز تتبع وتجسس يزرع تحت الجلد في تلك
المنطقة لمعرفة تحركاتهم

_وما علاقة شام بالأمر؟

_قلي أولاً هل حدث بينكما شيء؟ وحرك يده في
إشارة لما يقصده الضابط ,

_لقد كنت أنوي خطبتها هذا الشهر, وجهزت الدبلة
ولا أدري كيف وصلنا لهذا الحد ولكنها لم تكن
سوى مرة واحدة

_ أنا متوتر جداً ! قال آدم وهو يفرك يديه من
الخوف

_ هل كنت تعلم بعلاقتها خارج إطار العمل؟

_ لا

_ هل كانت تتلقى مكالمات وتتجنب الرد عليها أو
تتحدث فيها بطريقة غير مفهومة؟

_ لقد سمعتها مرة تتحدث بطريقة لم أتمكن من فهمها
وحين سألتها قالت لي بأنها طريقة تعلمتها من
والدها حيث تعتمد على حذف الحرف الأول من
الكلمة واستبداله بحرف السين ثم تتبع الكلمة كلمة
عشوائية تبدأ بالحرف الأصلي للكلمة الأولى مثل

"أنا أحبك | سنا أبوك سحبك أناناس " وعلى هذا
الأساس , ومع التكرار يصبح الأمر سريعاً بحيث لا
يستطيع حتى من يعرف الفكرة أن يفهم المقصود

منها إلا الشخص الذي لديه نفس المفردات العشوائية
الأخرى

_ هل عرضت عليك شيئاً عن عمل سري أو
ماشابه؟

_ على الإطلاق

_ هل زرتها في بيتها؟

_ مرة واحدة وكانت عمته موجودة

_ هل ثبت لديك سيدي أنها عميلة للمخابرات؟ سأل
آدم

_ هل تريد مفاجأة أخرى يا آدم؟

أنت متورط معها!

_ أنا؟ ما الذي تقوله يا سعيد ! هنا ضرب سعيد يده
في الطاولة بكل غضب وهو يصرخ

_إسمي الرائد سعيد أيها الحقيير

لقد أراد سعيد أن يصل به إلى الصدمة والانهيار من
الخوف, لطالما استخلص معلومات خطيرة بنفس
الأسلوب

_وأنا الجندي آدم! وانفجر في البكاء ثم أردد قائلاً

أنا الجندي آدم الذي خدم معك بنفس الوحدة وتقاسمنا
لقمة العيش معاً وقاتلنا معاً وسهرنا معاً, هل لأنني
أحببت فتاة وقضيت معها وقتاً أكون خائناً لوطني
وعميل؟

_ حسناً يا آدم هل أنت على استعداد لمساعدتنا في
القبض عليها؟

_انا مستعد لفعل ذلك بدون تردد, قالها آدم كمن
يتمسك بطوق نجاة

_ لقد كان موعدكم قبل ساعات , سيقوم أحد
السجانين بإحداث بعض الخدوش في جسدك وعلى
يديك , ستذهب لبيتها , وتخبرها بأنك تعرضت لحادث
سير ولم تشأ أن تقلقها

_متى؟

_ الان ستبقى في هذه الغرفة حتى أعود

بعد مرور نصف ساعة , جاء الحراس بآدم لغرفة
الرائد وقد ملأت الجروح وجهه وبدأ يشرح له ما
يجب عليه فعله

_ دخلت في حالة هستيريا بعد أن قرأت إحدى
الرسائل التي جاءت عبر الإيميل

" لقد علموا بالأمر...لديك ما يساعدك على الخروج
لمكانك الأول وحتى وصولك فنحن ننكر وجودك
بيننا

اعلمي بجد وتعالى إلينا وقتها يمكننا مساعدتك ,
سنقوم بحذف كل ذكرياتنا معاً على أمل أن نصنع
ذكريات جديدة"

لقد كان وصول الرسالة أسرع مما كان متوقفاً,
وعلى الرغم من ذلك فإن شام قد وقعت بحب آدم
بشكل جنوني, وغير ذلك إنها تحمل في أحشائها
طفلاً منه

في البداية كان الهدف هو تجنيده من خلال إقامتها
علاقة جنسية معه, ولكنه لم يكن الرجل الذي
تستهويه بنات الهوي أو الباحثات عن المتعة فقط,
لقد كان منضبطاً, فكان لا بد من الدخول بشكل
مختلف وهو حب وتعلق إلى أن يصل الأمر للعلاقة
الجسدية ثم الخاتمة المتشابهة دائماً وهو الابتزاز

إلا أن الأمر قد خرج عن السيطرة معه, لقد كان
شخصاً حساساً ومرهفاً أحبها بصدق ونبيل, ودفعا

عنه أكثر من مرة أو بالأصح دفع نفسه عنها,
فأحبت فيه طبيته وبراءته وكلماته الرومانسية
وأغانيه الهادئة.

أخذت نفساً عميقاً وبدأت في وضع خطة هروبها,
لقد بات من المؤكد لديها أن غياب آدم له علاقة
بكشفها, ولكن كان لابد لها أن تبلغ آدم بأنها حامل.

في تلك اللحظة جاءت رسالة إيميل من حساب
مجهول جاء فيها

" حبيب القلب قادم, بيديه الورد وفي قلبه الشوك انه
يستدرجك إلى حباله وحباله ليست بيده فكلهم يعملون
لدى إبليس" الرسالة آلية الحذف بعد دقيقة واحدة من
فتح الرسالة

لقد أعادت لها هذه المعلومة أمل النجاة لتضع خطتها
على هذا الأساس, وتذكرت ما تعلمته في أكاديمية
المخابرات هناك

وصل آدم لبيتها في مساء اليوم يحمل باقة زهر
ويحاول إخفاء انفعالاته, واستقبلته كأنها لا تعلم شيئاً
وعانقته بلهفة وجنون, وقامت باصطحابه إلى
غرفتها

بدأت حديثها بالسؤال عن الحادث وكيف جرى
ولماذا لم يتصل بها أو يخبرها؟ دون أن تعطيه
مجالاً للإجابة

_ يا إلهي هل يمكن لهذا الملاك أن يكون كما
يقولون؟ أم أنها ممثلة موهوبة لدرجة جعلته يحدث
نفسه وهو مشدوه بما يراه

_ أين ذهبت! قالت له لتضع حداً لشروده

_أبدأ كنت أتخيل الحادث مرة أخرى, إنه مريع ولا
أحب تذكره مرة أخرى. قالها والارتباك بادٍ عليه

_ سأقوم بتنفيذ مهمتي كما طلبوا مني وانتهى الأمر
, عاد يحدث نفسه

_ آدم أنا حامل ...

_ ماذا؟؟ قالها آدم منتفضاً من مكانه والرعب جمد
كل أطرافه

_ يجب أن جد حلاً أنا في الشهر الثالث وبدأت عمتي
تلاحظ الأمر

_ يا إلهي ماذا أفعل!

_ لننزوج ونعلن الأمر

_ انها تأخذه لجهة في حديثها وهو في ناحية أخرى,
انها محكوم عليها بالموت, ماذا سيفعل بالذي في

بطنها وما مصيره , عشرات الأسئلة كأنها سيل تدفق في رأسه دفعة واحدة جعلت عقله عاجز عن إيجاد أي إجابة كالحاسوب عندما يحاول معالجة أمر تتطلب مواصفات عالية, فيتجمد الجهاز لبعض الوقت ثم يظهر تلك الشاشة التي نكرها جميعاً " البرنامج لا يستجيب".

مرغماً خرج من هذه الدوامة ناظراً إليها, وحتى لو تزوجنا الآن فهل يعقل أن ننجب بعد سبعة شهور؟

_لنعود معاً إذا إلى أمريكا وهناك لن يسألك أحد عن الأمر ولن يشكل أي عائق, ويحصل ابننا على الجنسية الأمريكية بدلاً من الجنسية العربية التي تبقيه رهن الظلم والفقر طيلة حياته.

_لم يكن قادراً على إعطائها جواباً, وخشي أن هذه المعلومة قد تغير الخطة بالكامل, تجاوز الموضوع

بذكاء وتحدثوا قليلاً قبل أن يقرر المغادرة متعذراً
بتأخر الوقت

كان كالشبح متخفياً بين الأشجار بعد قام برصد
المنطقة جيداً وما أن غادر آدم حتى بدأ بالتنسلل إلى
أن وصل باب المنزل، توجه للجهة التي بها نافذة
غرفة شام وقام بالطرق الخفيف على النافذة

دب الرعب بأوصالها جميعاً، ترى هل كانت
المعلومة خاطئة؟ هل آدم حقاً لا يعرف شيئاً؟

بحذر شديد قامت بإخراج مسدسها الكاتم للصوت
وتوجهت نحو النافذة مصوبة مسدسها بزاوية 45
للأسفل

شقت الشباك بهدوء فقال الرجل

_ لا تقلقي أنا جئت بشكل غير رسمي لمساعدتك
على المغادرة
_ من أنت؟

_ يكفي أن تعرفني بأنني في صفك وعليك أن
تسمعيني جيداً الآن..

ستخبرين آدم بأنك تعرفين أنه يعرف كل شيء،
وستعرضين عليه أن يرافقك في الهروب ليكون
بجوار ابنه، وأنت ستأمين له جواز سفر مزور
يمكنه السفر من خلاله

_ وإن بلغهم بالأمر؟ سألت شام

_ سنأخذ احتياطاتنا أجاها بكل برود وكأنه يخفي بين
أحرفه خبرة طويلة في هذا العمل

_ ألم ينص الاتفاق على التخلي عنا؟ سألت وهي
بحالة من الشك

_ حسناً اذا كنت لا ترغيبين بالمساعدة يمكنني
المغادرة

_ أنا أسأل فقط قالتها معبرة عن ندمها فهو أصبح
طوق نجاة لها وقد أثبت لها انه يعمل في جهاز
المخابرات وليس كميناً لها

_ هل ستخبرني بتفاصيل خطتك؟

_ إذا أردت أن أساعدك فعليك أن لا توجهي الكثير
من الأسئلة, قالها بطريقة قاسية وباردة تخلوا من أي
مشاعر وكأنه رجل آلي خلق لتنفيذ مهمة واحدة
فقط.

-أولاً علينا أن نغادر المكان وإيجاد منزل آمن
وبعدها سأخبرك بكل شيء

كانت شام تصارع دوامة قاتلة في داخلها, وهذا
الرجل الغريب ليس لديه ما يطمئنها به, أو على

الأصح يتعامل بتكبير منقطع النظير وشخص مقبت
لا يمكن الوثوق به.

كانت الدراجة النارية تخرق الشوارع بسرعة
البرق تشق طريقها بين السيارات بشكل جعل شام
تنسى كل المآزق التي وقعت بها وحياتها التي على
المحك وتتنشغل بقلقها من سرعة هذه الدراجة
النارية خاصة وأنها أول مرة تركب بها دراجة
نارية.

-لماذا لم نركب السيارة؟ قالتها بصوت منخفض

-ماذا؟ قال الرجل الغريب بصوت مرتفع ليتغلب
على صوت الهواء ومولد الدراجة النارية الذي
يدوي في الأفق

-أعادت سؤالها مرة أخرى بصوت مرتفع ليتمكن
من سماعها

-هل حقاً أنت ضابطة في جهاز المخابرات؟ فأنا
أرى أمامي امرأة مبتدئة لا تفقه فنون التخفي
والمناورة، تحسسي رأسك ستجدين أنك آمنة من
الكشف بفضل هذه الخوذة التي تغطي رأسك أيتها
المغفلة، وراقبي كيف نخترق صفوف السيارات
دون القلق من الازدحام

-كانت شام في أوج غضبها وحنقها من هذا الرجل
إلا أنها كانت مجبرة على تحمل صلفه ولسانه
السليط، وكانت تمنى النفس بأن كل شيء سينتهي
قريباً.

وصل الاثنان لأحد الأبراج العالية في دمشق، وقام
بالدخول عبر أحد الممرات إلى مصف السيارات في
أسفل البرج، كان المكان قاتماً جداً وبالكد يرى
الشخص اصبعه.

-انزلي... قالها بصوت يخلوا من المشاعر
والأحاسيس

نزلت شام والخوف بدأ يساورها حيال هذا الرجل
من جديد, لقد سمعت من قبل كيف تتخلص
المخابرات من عملائها في القصص والأفلام, ولا بد
أن هذا الرجل ينوي قتلها والتخلص منها.

وقفت شام تنتظر نزول الرجل الغامض عن دراجته
لتعلم ما هي الخطوة التالية لهما, وبمجرد أن لفت
وجهه إليها تنبهت لمسدس كاتم الصوت الذي في يده
وهو يقوم بتركيب الفوهة الإضافية في مقدمة
المسدس, وقبل أن يوجه مسدسه لرأسها كانت قد
سبقته بخطوة ووجهت له 4 رصاصات من مسدس
كانت تخفيه في ثيابها

كانت كل أوصالها ترتجف من الخوف قبل أن تتقدم
نحو الجثة وتقوم برفسها بقدمها وهي تصرخ

-تباً لك أيها الأحمق! وبدأت بتفتيش ثيابه وتستخرج
هاتفه النقال, وقامت بمراجعة الاتصالات الأخيرة
الواردة والصادرة, لكنها لم تجد أي مكالمة واردة أو
حتى صادرة من الهاتف, لتتفقد بعدها الرسائل
الواردة, وعندها أصابها الجمود

"خذ الطرد من الخزانة ثم تخلص منها فهي لم تعد
مجدية"

كانت تدرك شام تماماً بأنهم يريدون القنبلة ثم
التخلص منها للأبد

كانت الساعة تشير للخامسة مساءً, حين رن هاتف
الرائد سعيد

-مرحباً الرائد سعيد معك ما هو الجديد

-سيادة الرائد لقد اكتشفوا الأمر

_ماذا! كيف حدث ذلك؟ وما هو الوضع حول
المنزل؟

_سيدي الرائد لقد دخلنا الغرفة ولا أثر لأي شخص
فيها والدلائل تشير لمغادرتها منذ ساعات

اغلق الرائد هاتفه ودخل في دوامة تفكير جديدة,
ترى هل أخبرها آدم بأن أمرها قد انكشف وقررت

الهرب؟ هل هذا دليل على تورطه أيضاً؟ ولكن لو كان متورطاً معها فلماذا لم يهرب أيضاً؟

حضر قائد وحدة المراقبة لمكتب الرائد، وبضغطة زر مثبت أسفل درج مكتبه حضر الحاجب على الفور.

-أحضروا لي آدم فوراً.. قالها بغضب ثم توجه لقائد وحدة المراقبة بالسؤال..

-ماذا وجدتم داخل الغرفة؟

-لقد جمعنا كل شيء سيدي وجاري العمل على فحصها بدقة في دائرة الأدلة الجنائية، سيكون التقرير على مكتب سيادتكم خلال ثمانية وأربعين دقيقة.

ضرب الرائد يده على المكتب بغضب وهو يصرخ:
هل تعتقد أيها الملازم أننا نملك حقاً هذا الوقت؟!

سيكون التقرير على مكتبي خلال ست ساعات حتى لو كلف الأمر إحضار كل العاملين في القسم ليعملوا فقط على فرز الأدلة, أريد هذه اللعينة مقيدة هنا أمامي قبل أن تغادر البلد ونفقد فرصة لكشف هؤلاء الأوغاد.

كان صوت الرائد يصل لآخر الممر في الوقت الذي كان يسير فيه آدم برفقة الحارس نحو غرفة الرائد, ومع صوت الصراخ علم آدم أن ثمة مصيبة أخرى تنتظره

دخل آدم الغرفة فأوماً له الرائد بالجلوس وبإشارة من يده غادر الملازم الغرفة تاركاً الرائد برفقة آدم مغلقاً الباب خلفهم

-لقد هربت ... قالها الرائد وهو يثبت عينيه بعيون آدم ليقيس ردة فعله

-ماذا؟ قالها آدم وهو في حالة صدمة .. لقد أخبرتني
أنها أنها ماذا؟ قال الرائد مقاطعاً

-لقد أخبرتني أنها حامل

-ماذا؟ هل أنت متأكد؟ سأل الرائد

_أجل وطلبت مني أن نساfer للولايات المتحدة
الأمريكية لأن عمته باتت تشك في أمرها وطلبت
مني أن نتزوج ونستقر هناك

-آدم في أي صف أنت الآن؟ قبل أن تجيب دعني
أخبرك بالواقع

إن تركتها تسافر فربما يتم تصفيتك قبل أن تطأ
قدمك أرض الولايات المتحدة، وربما تكون هي
نفسها في خطر، هذا يعني أنك ستفقد ابنك أيضاً،
عليك أن تختار صفك يا آدم

- سيادة الرائد أنا في صف وطني ولن أخون مهما
كلف الأمر واقسم على ذلك, قالها آدم والدمع قد
انهمر رغباً عنه رغم كل محاولاته بالتجدد والثبات,
وما أن سمع الرائد منه هذا الجواب قال له

-نحن أمام عملية محترفة يا آدم, وعليك أن تسمع
وتفهم كل كلمة سأقولها لك.

بدأ الرائد يضع تفاصيل خطته أمام آدم, ويشرح له
ما يجب عليه فعله, إلا أن كل تلك التفاصيل وكل
الخطوات القادمة كانت مرهونة بشيء واحد فقط

....

ان تتصل به شام مرة أخرى

كان الألم والحيرة والحزن تأكل داخل آدم حين ألقى
بنفسه فوق سريره كالجثة الهامدة, يحاول جمع
شئيات فكره, وفهم ما يجري على وجه التحديد ,
ترى من هذه المخلوقة التي باتت تشبه شيفرة
دفينتشي, أترى هي الفتاة الصافية النقية التي أحبها
من أعماق قلبه ونظم في جمال عيونها القصائد؟ أم
أنها ذلك الوحش الذي يحدثونه عنه, ويخبرونه بأنه
قادم لقتل آلاف البشر؟

هل تستحق قبلة واحدة كل هذا التعقيد؟ ألم يكن بالإمكان إسقاطها من السماء؟

كان الظلام يلف أرجاء الغرفة بأكملها, ولا يكاد يرى إصبعه, في الحقيقة لقد كانت ظلمات بعضها فوق بعض, فمن جانب كانت دوامة أفكاره التي تتقاذفه يمنا ويسرى, ومن جانب آخر كان يغرق في ظلام مستقبله الذي لا يعرف ما سيحل به, وأهون تلك الظلمات كان ظلام الغرفة الذي لا يحتاج سوى لضغطة واحدة على مقبس النور ليتبدد.

في تلك اللحظات كانت تتراءى لذهنه تلك القصة التي خلدها القرآن عن نبي الله يونس حين اجتمعت عليه ظلمة البحر وظلمة الليل وظلمة بطن الحوت, لكن! من أين يأتي بيقين كيقين نبي الله في هذه المحنة القاتلة؟

انتفض آدم فجأة على صوت خطوات خافتة, واعتدل بسرعة محاولاً الوصول لمقبس النور الذي على جانبه, ورغم آلاف المرات التي استطاع فيها الوصول إليه بكل سهولة, إلا أن هذه المرة كان الخوف أقسى من يتحكم بحركة يده ويصل للهدف كالمعتاد.

ومع ارتفاع صوت الخطوات باتت يده أكثر اضطراباً, وبحركة مرتبكة تمكن من الوصول أخيراً , وقبل أن يبدي أي ردة فعل, كانت يد على فمه تطبق عليه مانعة أي صوت

-كانت الخوذة لازالت تغطي وجه شام, ولكن تلك الخوذة لم تستطع أن تخفي عطرها الذي اعتاد عليه, ولا لمسة يدها التي لطالما داعبت شعره, ولا عيونها القاتلة التي جعلت من آدم يدمن كتابة الشعر, ويهجر النوم وينتظر المواعيد

- آدم لا تقلق فأنا لو استطعت إيذاء الكون بأكمله لا أقوى على إيذائك, سأرفع يدي ولكن أرجوك لا تخرج صوتاً واسمعي للنهاية

-حقاً! قالها آدم بحق وعدم تصديق, لا تستطيعين إيذائي؟ من أنت بالتحديد؟ هل أنت الملاك البريء التي أخذتني من واقعي المرير لفضائها الرحب؟ أم ذلك الشيطان الذي تستر بلباس الأنبياء؟ أم مجرد موظفة تعمل في مهنة قدرة, لا يهتمها كم ستدوس في طريقها من البشر؟

-لقد قمتِ بقتلي ألف مرة ومرة ثم تريدين مني تصديق تلك الكلمات الزائفة؟

كانت شام غارقة بدموعها, وتحاول بدء حديثها, لكن بأي طريقة تبدأ, وماذا عساها تقول؟

-لك الحق في كل كلمة تقولها ولا ألومك, ولكن
أليس من حق المتهم الدفاع عن نفسه يا آدم؟

-ماذا ستقولين؟ لقد علمت الحقيقة كاملة, انهم
يعتقدون بأنني شريك في هذا العمل القذر, ولا
يعلمون أنني وددت لو قتلتك بيدي قبل أن يصلوا
إليك, أتعلمين لماذا؟ لأنني أكثر ضحاياك بؤساً,
وأكثرهم ألماً.

-آدم أنظر إلى عيني, قالتها شام وهي تركز
نظرها إليه.

-هل تعتقد حقاً أنني مجرمة؟

-ليتي كنت استطيع اعتقاد ذلك؟ لما كنت الآن
أعيش هذا الكابوس, ولكنني سمعت وعلمت ما يكفي
لإدانتك بالخيانة.

-وهل سمعت شيئاً عن والدي؟ وهل سعت شيئاً عن معاناتي, هل سمعت عن القهر والظلم الذي أعيشه دون أن أمتلك فرصة لمشاركته مع أحد؟

-هل أخبروك من أكون؟ وما هي القنبلة التي في يدي؟

-هل سألت نفسك لماذا لم تنفجر هذه القنبلة حتى الآن؟ ولو انفجرت ماذا ستفعل بآلاف الأبرياء؟

-أم أنك اكتفيت بما أخبروك به, دون أن تبحث عن الحقيقة الكاملة؟

سادت لحظات من الصمت في الغرفة قبل أن تنتقل شام للكرسي المقابل لسرير آدم محاولة تمالك أعصابها وأخذ نفس عميق يمكنها من استجماع قواها للحديث

-كان هناك رجلٌ ذا بصيرة نافذة, وذكاء متقد, أشبه
بكتاب يمشي على الأرض, ورغم كل ما كان يملكه
من علم وإنجازات, وبعد أن أفنى جل عمره داخل
مختبره يبحث ويحاول, ويواصل الليل بالنهار, وجد
نفسه في النهاية يبحث عن تذكرة باتجاه واحد دون
عودة, تاركاً خلفه رفات حليماً لم يكتب له الحياة.

- والدك؟ قاطعها آدم

-نعم إنه والدي.....

-إنه والدي الذي كنت أتمنى أن أراه يوماً بيتسم, إنه
العالم البيولوجي الذي وجد من أعداء الأمم حفاوة
لم يجدها من المتشدين باسم الوطن, الذين صدعوا
رؤوسنا منذ أربعين عاماً بالقومية الزائفة

-كنت لا أزال في الثامنة من عمري حين خرجت
مع والدي إلى الولايات المتحدة الأمريكية, في رحلة

والذي للبحث عن مكان يجد فيه لقمة العيش ناهيك
عن الكرامة والتقدير لما يقدمه

-قبل ثني عشر عاماً من الآن, رصد والدي طفرة
على أحد الفيروسات داخل مختبره, واستمر في
دراستها لأكثر من عام, وكان يخزن نتائج أبحاثه
على ذاكرة خارجية, دون أن يعلم بأن هناك من
يحسب عليه الأنفاس حتى.

في أحد الأيام دخل أحد الموظفين لمختبر والدي,
واقترح غرفة الحجر الصحي المخصصة للتجارب
على الحيوانات, وحين دخل والدي كان المشهد
صادماً.

كان الرجل ممداً في وسط الغرفة, وقد تحول لون
جسده للون الأزرق, مع تقرحات شديدة على جسده
بالكامل, لقد كان أشبه بمن تعرض لنسبة كبيرة من
الإشعاعات النووية.

سادت المختبرات بأكملها حالة استنفار قصوى،
وحجر صحي منع من خلاله أي شخص من
الخروج أو الدخول للمختبر بأي حال من الأحوال.

وكانت المعلومات تشير بأننا أمام فيروس متطور
يحفز الجهاز المناعي لدرجة تجعله يهاجم كافة
أعضاء الجسم، والتقرحات كانت بسبب تدفق كريات
الدم البيضاء.

لقد صنفت التحقيقات هذا الفيروس الأخطر منذ بداية
التاريخ، ليس بسبب النتيجة الحتمية للإصابة به
فحسب، إنما لسرعة انتشاره المخيفة وقدرته على
التكيف بشكل مخيف.

بعد هذه النتائج الصادمة، كان القرار الرسمي من
المخابرات بفرض حجر صحي كامل على المنشأة،
لحين إيجاد مصل يقضي على الفيروس، وأصبح
ملفاً استخباراتياً فائق السرية.

عمل والدي برفقة مئات العلماء تحت مراقبة مشددة, وإجراءات أمنية فائقة الشدة, أكثر من ستة أشهر, وكانت النتيجة التي أجمع عليها العلماء أنه من المستحيل أن يتم إيجاد المصل قبل أن يشرخوا مصابين بهذا الفيروس لفهم طريقة عمله وهندسته الجينية.

بعد هذا التقرير الذي يشير باستحالة إيجاد المصل دون دراسة لحالات مصابة, وفي غضون ثلاث أيام فقط, كان هناك خمسة من المهاجرين القادمين من أفريقيا قد تطوعوا للدراسة دون أن يعلموا أنهم ذاهبون لحتفهم.

لقد أوهموهم بجواز السفر الأمريكي والأموال والمكافآت, وكل ذلك تم بطريقة غير قانونية, لقد كانت التعليمات واضحة من المخابرات للموظفين

بعدم تقديم أي معلومة عن طبيعة الاختبارات للضحايا.

مرت ستة أشهر أخرى قبل أن يعثر الفريق البحثي على أول النتائج الإيجابية للمصل, وكالعادة كان الضحايا من المهاجرين لأفارقة, وكانت جثثهم تحرق في أفران تفوق 10000 درجة مئوية, دون أن يسأل عن رفاتهم أحد, وحتى ولو سأل فالجواب حاضر وجاهز, لقد أصبحوا طعاماً للأسماك, فلا يوجد ما يثبت علاقة المخبرات بعصابات التهريب, وفي النهاية هم لم يدخلوا ارض الولايات المتحدة الأمريكية

-كيف؟ قالها آدم مستغرباً

-بكل بساطة يصاب القارب الذي يحمل المهاجرين بعطل في المياه الدولية, تتحرك قوات البحرية لإنقاذهم من الموت, يتم شحنهم للقواعد العسكرية,

ويبقى الأمر في غاية السرية وبعيداً عن المؤسسات
الحقوقية والإعلامية.

-دعنا لا نطيل الحديث, فبعد أن وصل الفريق
العلمي للمصل, وبعد التأكد من قدرة المخابرات
على السيطرة عليه, ظل هناك خطر قائم, إنهم
العلماء العرب.

لقد أبدت المخابرات الأمريكية قلقها الشديد علانية
من العلماء العرب الذين كان والدي على رأسهم,
ومنعتهم من السفر بأي حال من الأحوال.

كان هناك عالم عربي يدعى ألكساندر لم يشمله
الحجر الصحي, وكان أحد الأشخاص المقربين من
والدي, وكان يملك بوابة خلفية للولوج إلى النظام
الرقمي للمنشأة, وبمجرد علمه بما حدث في المنشأة
غادر الولايات المتحدة عائداً إلى سوريا.

لم يكن هذا الرجل على علم بكافة التفاصيل, ولم يغامر بمحاولة الولوج ثانية إلى النظام, ولكنه كان يعلم أن والدي يحتفظ عادة بنسخة أخرى من الأبحاث على ذاكرة خارجية وكان يعلم طريقة الوصول لتلك الذاكرة.

أراد والدي مغادرة الولايات المتحدة الأمريكية, لكنه تلقى تهديدات مباشرة من المخابرات بأن خروجه من هناك سيكون في حالة واحدة, وهي الحالة التي يضمنون فيها عدم إفشاء ما توصل إليه, فقررت أُمي أن تأخذني معها وتغادر الولايات المتحدة الأمريكية وترك والدي هناك.

ولكن هذا الخيار لم يكن متاحاً أيضاً بالنسبة لمخابرات, لقد وضعوا السم لوالدتي في كوب القهوة وبقيت وحيدة في ظل منع والدي من أي اتصال بالعالم الخارجي.

تم وضعي بعدها في إحدى دور الرعاية, وكان وقتها يديرها شخص يدعى جاك, وقد كان رجلاً متطرفاً ويحمل أفكاراً مجنونة, لقد كان مختلاً بكل ما تحمله الكلمة من معنى, وكان صديقاً لألكساندر الذي كان سبباً في قتل والدي أيضاً.

-كيف؟ سأل آدم

-لقد استطاع ان يصل لتلك الذاكرة, وقام بفتحها وتسريب بعض المعلومات التي حوتها تلك الدراسة, وكان المتهم الأول بذلك هو والدي, ولا أعلم كيف قاموا بقتله, فكل ما حصلت عليه منهم هو وسام شرف منحوه لرجل علم وقدموه لي, ولدواع أمنية لم يسمح بالدفن إلا من خلال إجراءات مشددة ظل جاك يقنعني بنظريته المشؤومة عن حماية الكون من الاكتظاظ السكاني, فقد كان يؤمن بأن

أعداد البشر تفوق قدرة تحمل الطبيعة لها, ولا بد من التدخل للتقليل منهم.

كنت أتوق للهرب منه, ولكنني كنت أعلم بأن الأمر مخاطرة كبيرة, وكنت أرغب بالوصول لذلك الملعون الذي باع والدي على ناصية الطريق.

أشعرته بأنني بت أو من بنظريته, وأنني على استعداد للمساعدة في تحقيق ذلك الهدف, وكل ذلك كان بدافع الهرب والانتقام لا أكثر.

لم يكن الأمر فكراً فردياً على الإطلاق, فبعد أن أدرك ولائي له, طلب مني ذات مساء لحضور أمسية في مكان يطلقون عليه اسم البوابة, لقد كان المبنى أشبه بكنيسة يحيط بها سور على ارتفاع أكثر من ثمانية أمتار, وله بوابة حديدية ضخمة توصل لممر طويل قبل الوصول للبوابة الداخلية, وكانت الأعشاب تملأ المساحة المحيطة بالمبنى الداخلي

بشكل مخيف, دون أن يتم إزالتها, وطبقة من أوراق
الشجر اليابسة والأغصان المتعفنة تدل بأن المكان
مهجور منذ مئات السنين.

كتب على البوابة الداخلية للمبنى عبارة " لا بد من
الموت من أجل الحياة" لقد كانت صارخة ومخيفة
تظهر التطرف الذي سكن هذا الرجل

بدأت أشعر بالقلق من كل شيء, المكان والأفكار
والرجل ذاته, وربما أحس بالخوف الذي اجتاحني
وتناقل أقدامي فالتفت إلي وقال " لاتقلقي لسنا وحدنا
فهناك من ينتظرنا بالداخل"

كانت سيارات الشرطة تملأ المكان, وعشرات من أفراد الشرطة يحيطون بمدخل البرج, وعدد من المحققين يفتشون المكان بدقة متناهية بحثاً عن أي دليل يصلون من خلاله لملابسات الجريمة, وتحديد هوية الضحية.

حاول المحققون التغلب على الظلام الدامس بمصابيح يدوية, يتفحصون كل شبر في المكان.

وخلال وقت قصير كانت الشرطة قد قامت بتفريغ كاميرات المراقبة المحيطة بمدخل البرج.

في ذلك الوقت تحديداً كانت تعليمات الرائد سعيد قطعية وغير قابلة للنقاش

" أريد تحديثاً أمنياً على رأس كل ساعة, أي حدث مهما كان حجمه أريد تفاصيله على مكثبي فوراً, حتى إشعار آخر, خاصة عمليات سرقة السيارات أو

الدراجات النارية, والعمليات الجنائية وأي حالة
تزوير لأوراق ثبوتية يتم اكتشافها"

دخل المساعد فارس وهو المساعد الأقرب للرائد
يحمل في يده مظروفاً ورقياً, وبحماس شديد

-سيادة الرائد من المؤكد أنك تود رؤية هذه الصور

أخذ الرائد المظروف دون أن ينبس ببنت شفة, وبدأ
يقلب بها بشكل مستمر, كانت خمسة عشر صورة
لجثة ملقاة على الأرض وبها آثار أربع رصاصات.

نظر الرائد لمساعده فارس, باستغراب قائلاً

- هل لفت انتباهك شيء بها لم أتنبه إليه أنا؟ قالها

وهو لازال يقلب في الصور بشكل سريع

اقترب المساعد من المكتب وقام بوضع كل الصور

على الطاولة, مشيراً بإصبعه على واحدة منها

-هذه! قالها وهو ينظر للرائد ويضرب إصبعه على
الصورة

أمسك الرائد تلك الصورة التي أشار إليها مساعده
فارس ثم نظر إليه قائلاً

-نفس الجرح! يا إلهي من هؤلاء

-لقد عثرنا على الجثة في مصف سيارات ويبدو أن
وقت الجريمة كان بعد فقدان أثر شام بساعة

-هل تقصد أنها؟

- من الواضح أنهم أرادوا التخلص منها, ولكنها
كانت الأسرع

-إذاً لقد كشفوا أمر آدم! قالها الرائد بقلق وبسرعة
البرق أمسك بسماعة هاتف المكتبي ليتصل بآدم قبل
أن يضع المساعد يده على السماعة محاولاً منع
الرائد من إجراء ذلك الإتصال

-سيادة الرائد, دعنا نفكر باحتمالية أن يكون آدم
ضمن من يحاولون قتلها؟

-كيف وهو خاضع للتحقيق وهناك احتمال أن
يعتبروه عنصراً مكشوفاً؟

-لعله هو من أخبرهم, واخترق قصة وهمية
ليتخلصوا منها قبل أن يتم القاء القبض عليها
واعترافها عليه

- انه احتمال وارد, قالها الرائد صاحباً يده عن
سماعة الهاتف

-ماذا سنفعل الآن؟ قال المساعد

-كم من الوقت مضى على الجريمة وفق التقرير
الجنائي؟

- ساعتان ونصف

-حسناً أريد طوقاً أمنياً على محيط خمسة كيلو متر,
وأريد تفريغات كافة كاميرات المراقبة من لحظة
الجريمة وحتى الآن, أيضاً قم بنشر صورة للمجرمة
على كافة نقاط التفتيش, والمطارات والموانئ,

-أمرك سيدي

-انتظر...

-تفضل سيادة الرائد

-أريد منك مراجعة كافة عمليات السحب النقدي من
الصرافات الآلية, وحجوزات الفنادق

-حالاً سيادة الرائد

-أبلغ الدورية أيضاً إرسال ثلاثة عناصر لمراقبة
بيت آدم دون أن يثيروا أي شبهة, هل فهمت؟

-أجل سيادة الرائد

-في حال وصلتكم لأي معلومة أبلغني بها فوراً،
سأتوجه أنا الآن لموقع الجريمة فربما نعثر على
شيء هناك

كان عباب السجائر يملأ الغرفة, ولا يكف عن التحرك جيئةً وذهاباً, بوجهه الستيني الذي يملؤه العبوس, كانت نظراته حادة وحركته أشبه برجل آلي, وشاربه الأبيض قد اكتسى باللون الأصفر لكثرة ما نفث من السجائر على مدار أعوامه الستين.

ورغم أنه مصاب بسرطان الرئة, ورغم تحذيرات طبيبه الخاص من مغبة استمراره بالتدخين إلا أن السجارة لا تكاد تنطفئ بين أصابعه, وآخر مرة حاول الطبيب فيها منعه من التدخين تعرض لسيل من السباب والشتائم أنهاها بإلقاء مطفأة السجائر عليه.

كان يخرج هاتفه كل دقيقة يحدق بشاشته للحظة ثم يعيده لجيب معطفه.

انطلق جرس الهاتف ليكسر حالة الصمت التي ملأت المكان, وبسرعة البرق قام بإطفاء سجارته

التي لم يمض على إشعالها سوى لحظات, جلس
على كرسيه ووضع سماعة الهاتف على أذنه

-تكلم! قالها بصيغة الأمر بكل جمود

-فقدنا الطرد في اللحظات الأخيرة

-والسائق؟ سأل وكأنما ينتظر صاعقة تنزل على

مسمعه

-لم يعد قادراً على الكلام..

ودون أي سابق إنذار, قام جاك بإنهاء المكالمة,
مطلقاً سيلاً من الشتائم والسباب واللعنات, ليشعل
بعدها سيجارة جديدة

كان آدم محققاً بشام دون أن ينبس ببنت شفة,
مصغياً لكل كلمة تخرج من فمها, ومثبتاً نظره عليها
بكل اهتمام

-لقد كان في انتظارنا مجموعة من الرجال في
الداخل, يلتفون حول مكتب دائري كبير, وبمجرد
دخول جاك ساد الصمت بين الحاضرين, وترجل
الجميع ووقفوا احتراماً لهذا الرجل, وكان يبدووا جلياً
أنه صاحب السلطة الأعلى بينهم, وأنهم يكونون له
احتراماً كبيراً

-أتدري من كان متواجداً بينهم؟

ظل آدم صامتاً باستثناء إماءة برأسه تشير بالنفي

-إنه ألكساندر

-ومن هم هؤلاء الرجال بالتحديد؟ سأل آدم

-يطلقون على أنفسهم حراس الكون

-حراس الكون؟ سألها آدم باستغراب

-قال لي جاك بأنني الآن أمام المجلس الأعلى لهذه
الجماعة الأكثر نفوذاً وقوة وتغلغلاً في مستويات
الحكم حول العالم

-وما هي توجهاتهم؟

-إنهم يؤمنون بأن البشر يقودون الكوكب للهلاك,
ولا بد من التدخل لوقف التمدد السكاني الذي يزيد
من أزمة الكون

لقد قال لي جاك ذات مرة أننا لا بد من مساعدة
الطبيعة على إيجاد التوازن من جديد, ولا بد من
التضحية والتجرد من المشاعر قليلاً

-كيف؟

-انهم يمولون أكثر النزاعات المسلحة دموية, من
جهة يستنزفون الشعوب الفقيرة ويدفعونهم لشراء
السلاح, ومن جهة أخرى يقللون من أعداد البشر

-ومن أعطاهم الحق بذلك؟

-القوة يا آدم, القوة والنفوذ والإفلات من القانون,
إنها الخلطة السحرية لارتكاب أفظع الجرائم

-أتدري ما هو أغرب من ذلك؟

-ماذا؟

-لديهم أكثر من ثلاثين مليون شخص يؤمنون
بفكرهم حول العالم, علماء ورجال أعمال ورجال
دين ورجال سلطة

-يا إلهي ! ما هذا الجنون ؟

-الجنون الأكبر لم تسمعه يا حبيبي

يا حبيبي! كان لهذه الكلمة وقعها في نفس آدم برغم كل ما حصل, لقد مرت أيام ثقيلة دون أن يسمع هذه الكلمة, ولكن هل حقاً أنا كذلك؟ كان يسأل نفسه مرة أخرى وكأنه يبدأ من جديد

-لقد كان اكتشاف والدي الذي تسبب بقتله أداة جديدة في يدهم بعد أن قام ألكساندر بتجهيز قنبلة بيولوجية موقوته, قنبلة لا تترك خلفها صوتاً ولا دخاناً ولا ترصدها أجهزة الكشف الحراري

-مستحيل!!

-دخلت القنبلة منذ تسعة أشهر مضت, ليس هنا فقط بل في أماكن أخرى سيصيبك معرفتها بالجنون

-أين؟ قالها آدم والخوف يسيطر على كل أوصاله

-السودان, وكينيا, والمغرب العربي, إيران, والعراق و...

-وأين أيضاً؟ لماذا صمت؟

-والمملكة العربية السعودية

-ماذا؟

-انهم ينتظرون موسم الحج لارتكاب جريمتهم في

ظل احتشاد ملايين الناس هناك

لقد استطاع أليكساندر أن يعدل على جينات

الفايروس بشكل كبير مستفيداً من تجارب البحث

عن اللقاح

-وما الذي غيره؟

-في إحدى التجارب التي قام بها والذي أثناء البحث

عن اللقاح ظن أنه قد توصل لنتائج إيجابية, حيث

أظهرت النتائج استقرار حالة المعرضين للفايروس

لأكثر من أسبوعين, ولكن تفاجأ الفريق الطبي أن

آثار الفايروس بدأت بالظهور على المرضى بشكل
تدرجي بعد أسبوعين تحديداً

-وما علاقة ما فعله المدعو ألكساندر بذلك؟

-كانت آلية عمل المصل هي مهاجمة الفايروس
وإحداث تغيير في تسلسله الجيني يوقف قدرته على
مهاجمة الخلايا العصبية ويعزز قدرة الجسم على
مقاومته, وما فعله هذا المجرم ألكساندر هو إنتاج
سلالة بنفس التغيير الذي أحدثه المصل, وهذا يعني
أن المريض أمامه أسبوعان يكون فيها حاضناً
للفايروس دون أن يشعر, وينقله لغيره وهذا يزيد من
حدة الانتشار ويقلل من فرص السيطرة على بؤر
العدوى

-هذا مخيف, إنه.... إنه كارثة, ولكن لماذا لم تقومي
بالتبليغ عن كل هذه المعلومات قبل فوات الأوان

-بعد أن قال جاك ما أراد قوله في الإجتماع, قررت أن أبلغ أي جهة يمكنها وقف هذه الكارثة, ولكن كنت محاصرة من كل اتجاه.

عندها قررت أن أشارك في نقل القنبلة التي خصصوها لسوريا, لأتمكن من مقابلة أي جهة يمكنها منع هؤلاء القتلة, وقد حدث ما أرتبه يا آدم
-كيف؟

-حسناً سأخبرك ولكن ليس الآن, أنا قادمة إليك لسبب آخر وأريد منك مساعدتي في أمر ما فهل أنت مستعد لذلك؟

-شام سأكون صريحاً معك, لا يعقل أن أتورط أكثر من ذلك في هذه القضية دون أن أتأكد بأنني أسير في الطريق الصحيح.

-أنا متهم بالتخابر الأجنبي والتورط معك في محاولة
تفجير إرهابي وأحاول إثبات براءتي

-أنا أتفهم موقفك يا آدم, ولكن أريد منك أن تطلع
على هذه الذاكرة, وبعدها يمكنك اتخاذ الموقف الذي
تراه مناسباً

-وكيف سأخبرك بقراري؟

-دونت شام على ورقة صغيرة رقم هاتف مستطردة
:هذا هو رقم هاتفي, يمكنك إرسال كلمة موافق إن
أردت مساعدتي أو مزق الورقة إن أردت تجنب
المشاكل.

-أين ستذهبين الآن؟

-لا تقلق فأنا لست لوحدي في هذا الطريق

طبعت شام على خد آدم قبلة وهمست في إذنه
كلمتان غيرتا موقف آدم تماماً

كانت الساعة تشير للثالثة فجراً, ولعلها من المرات
القليلة التي اضطر فيها الرائد سعيد للعمل خارج
مكتبه حتى ذلك الوقت.

كان يقود سيارته شارد الذهن, محاولاً جمع خيوط
القضية التي تسببت له بضغوط هائلة من الجهات
العليا, والتي اعتبرت القضية متعدية للحدود, وأن
المسألة تتعلق بالأمن الإقليمي بل والعالمى أيضاً

فجأة قطع صوت الهاتف شروده, وكأنه كان في حلم
واستيقظ منه, ليجد رقم آدم ظاهراً على الشاشة
أمامه

-مرحباً آدم

-مرحباً سادة الرائد, هل أستطيع مقابلتك الآن؟

نظر الرائد إلى ساعته, ليتفاجأ أن الوقت تجاوز
الثالثة فجراً دون أن ينتبه, وتفاجأ أكثر من طلب آدم

-الساعة الآن تجاوزت الثالثة يا آدم, هل يمكننا
تأجيل ذلك للصباح؟

-لا أعتقد ذلك يا سيادة الرائد, وأظنك أكثر من يريد
هذه المقابلة

-حسناً أين أنت؟

-أنا في الطريق لمكتبك

-حسناً أقابلك هناك بعد ربع ساعة

كان آدم يسير ولا يدرك ما يفعله حتى الآن, كان
يشعر أنه يخوض حرباً لا طاقة له بها ولا
بخسائرها, فهو الآن مضطر لتقديم التضحية ولكنه
لا يدرك هل هو حقاً مستعد لهذه التضحية أم لا.

لم يمض على مغادرة شام نصف ساعة, ورغم
مشاعره التي حنت لحبيبة الأمس, وقلبه الذي رق
لمعاناتها وألمها, هو الآن ذاهب لشخص يفعل

المستحيل لإلقاء القبض عليها, ويحرص على وضع
حبل المشنقة حول عنقها, وكلما شعر بتأنيب
الضمير حيال معشوقته إلا أنه استطاع أخيراً أن
يقنع نفسه بأنه يحاول حمايتها من الطريق الذي
تسير فيه, فربما تكون محقة في نواياها, إلا أن ذلك
لا يعطيها الحق بأن تنصب نفسها رجل شرطة وتنفذ
القانون بيدها.

وصل آدم لمكتب الرائد, ليجده بانتظاره وعلى الفور
سمح له الحارس بالدخول.

-مرحباً سيادة الرائد, وأعتذر عن الاتصال في هذا
الوقت, ولكنني شعرت بأن الأمر مهم جداً في
القضية

-لابأس يا آدم, تفضل بالجلوس, وأخبرني ما الأمر

-لقد حضرت شام إلى منزلي بعد منتصف الليل, لقد
وجدتها في المنزل عند عودتي

-ماذا؟ ولماذا لم تتصل بي؟ وأين هي الآن؟

-سأخبرك بكل شيء بالتفصيل

بدأ آدم بسرد ما قالته شام بكافة تفاصيله, وسط
ذهول وصمت مطبق من الرائد, وقد بدى التوتر
والقلق عليه بشكل كبير, لدرجة أنه أحرق أكثر من
عشرة سجائر خلال نصف ساعة من الحديث, دون
أن ينطق بكلمة واحدة.

حين أنهى آدم حديثه كان ينظر للرائد منتظراً أية
ردة فعل توضح أثر المعلومات على مجريات
التحقيق, ولكن الرائد كان في عالم آخر, ولعله بدأ
يدرك معنى أن القضية تمثل أمناً إقليمياً, وفهم
أسباب الضغط الرسمي عليه لإلقاء القبض على شام

-سيادة الرائد هل أنت معي؟ أم أن السهر أنك
قدرتك على التركيز؟

-أنا معك منذ البداية يا آدم, ولكنني الآن في مكان
آخر يصعب على العقل استيعابه

-سيادة الرائد, هناك شيئاً لم أخبرك به بعد
-ما هو؟

-حسناً قبل أن أخبرك, هل أنت واثق بي؟

-إن طبيعة عملنا يا آدم تستدعي الشك دائماً وأنت
تعلم ذلك جيداً, ولكن بعض ما قلته الآن يتوافق مع
بعض ما لدي, ولذلك ليس أمامي سوى الثقة بك

-وشام؟

-إنها في موقف لا تحسد عليه ولا أستطيع الثقة بها

-وما قالتها ألا يثبت أنها معنا في نفس المسار؟

-من المبكر الحكم عليها يا آدم

-لو كان هناك فرصة للإستفادة منها وهي طليقة هل
يمكننا استثمارها؟

في تلك اللحظة أدرك الرائد بأن هناك ما يريد آدم
قوله يمكن أن يغير مسار التعامل مع القضية بشكل
مفصلي, وعلم بذكائه وخبرته أن آدم يريد عقد
صفقة ما مع الرائد

-هل تبحث عن صفقة ما يا آدم؟

-في الحقيقة ليس بهذا المفهوم ولكني أصدق شام
وأحاول أن أكون وفيّاً لها ومساعدتها على التخلص
من هذا الموقف, وفي نفس الوقت فإن وقف الجريمة
ومنعها أهم بالنسبة لي من أي شيء آخر, فهل
يمكنني الوثوق بك على مساعدتها أيضاً؟ فأنا لا أريد
القيام بأي شيء دون علمك وموافقتك, ولكنني لا

أريد إخبار الرائد سعيد بل صديقي سعيد الذي يعمل
في جهاز المخابرات لإيجاد حل ينقذ حبيبتي وينقذ
الوطن

-الأمر ليس بهذه البساطة يا آدم, ولكنني أعدك بأنني
سأكون حريصاً على كشف الحقيقة, وإن كانت شام
بريئة فأنا أؤكد لك بأنها ستكون في أمان, ولكن
يتوجب عليها أن تسلم نفسها أولاً

-لقد طلبت مني قبل المغادرة شيئاً, قالت لي إنه
الطريقة التي يمكننا من خلالها وقف كل شيء

-وما هو ذلك الشيء يا آدم؟

أخرج آدم من جيبه ذاكرة ووضعها أمام الرائد
-في هذه الذاكرة قاعدة بيانات معقدة وضخمة, قالت
شام بأن بداخلها معلومات مشفرة تتضمن معلومات

عن المدعو أليكساندر, وقالت لي بأنه مفتاح كافة الأحداث

-طلبت مني الوصول لمفتاح فك التشفير بالاستعانة بشخص متخصص أثق به, لتتمكن من التواصل مع هذا الشخص وإخراجه من وكره, فهو الوحيد الذي يملك خوارزمية التفجير في كافة المناطق التي وضعوا بها القنابل

أمسك الرائد الذاكرة, وعلى الفور قام بالاتصال مباشرة بقسم الأدلة الجنائية ومتخصصي أمن المعلومات, أبلغهم بقدومه على الفور

كان منزل آدم آخر نقطة التقطها جهاز تتبع الهاتف الذي حصلت عليه شام من الرجل المأجور الذي قامت بقتله, لم تنتبه لسقوطه منها أثناء قفزها من النافذة الخلفية

-اسمعي جيداً, ان اشارة الهاتف تشير لهذا العنوان قالها جاك عبر الهاتف مخاطباً أحد العملاء التابعين للمنظمة, والذي كان معروفاً داخل المنظمة بالرجل الملعون, لبشاعة الأساليب التي كان يستخدمها في قتل ضحاياه

-سأجلب لك رأسها بين قدميك لاتقلق

-يتوجب عليك ذلك فهي تعرف كل شيء عن المنظمة

-لا تقلق قالها الرجل الملعون منهيأً المكالمة

دخل الرجل خلسة باستخدام مهارته في فتح الأبواب, وبدأ يبحث في الشقة على أمل أن يصل إلى طريدته وإنهاء هذه المهمة, إلا أنه لم يعثر سوى على الهاتف ملقى على الأرض بالقرب من النافذة الخلفية على الفور قام بإبلاغ جاك برسالة نصية بأن الهدف لم يكن داخل المنزل, وقبل المغادرة لفتت ورقة على طاولة المكتب عليها رقم هاتف.

قام بأخذ صورة عن الرقم وإرسالها لجاك, وعلى الفور أدرك جاك أن هذا هو خط شام

-إنتظر مني مكالمة خلال ساعة وكن جاهزاً قالها جاك

-سأكون جاهزاً على كل حال

جهاز الرائد نفسه وأغلق مكتبه وخرج متوجهاً نحو دائرة التقنيات, كان آدم بالكاد يستطيع مجاراته بالسير, ليتفاجأ الاثنان على بوابة المركز وقبل ركوب السيارة بوابل من الرصاص ينهمر عليهما من كل اتجاه

اختبأ الرائد خلف ساتر اسمنتي, وبدأ بالرد على الرصاص المنهمر عليهما, قبل أن يلتفت لآدم الذي كان ملقى على الأرض غارقاً بالدماء

خرج عناصر الشرطة لدعم الرائد قبل أن يفر المجرمون من المكان, وعلى الفور توجه الرائد لآدم محاولاً إنقاذه

كانت رصاصتان قد اخترقتا جسد آدم, حين وصل
للمشفى وعلى الفور دخل في غرفة العناية المركزة,
في حالة خطيرة جداً

بعد خمس دقائق كان مساعد الرائد ويدعى بسام في
المكان, والرائد يجلس أمام غرفة العناية وثيابه
ملطخة بالدماء

-سيدي الرائد هل أنت بخير؟

-أنا بخير, ولكن آدم ليس بخير

-نظر المساعد فارس للرائد محاولاً أن يخفف عنه,
كيف يمكنني المساعدة؟

-اسمعي جيداً, أمسك هذه الذاكرة, أريد منك التوجه
على الفور لقسم المعلومات التقنية, أريد معرفة ما
بداخلها فوراً

-أمرك سيدي

خرج فارس من المستشفى, وبمجرد أن دخل سيارته
أخرج هاتفه

-سيد جاك؟ لقد حصلت على الذاكرة

-هذا أول خبر جيد نحصل عليه منذ أيام, أحسنت

-شكراً لك سيدي, نحن فداء لفكرتنا المقدسة, ولكن

إن لم أذهب بها للمركز ألن أكون متهماً؟

-لا تقلق فنحن جهزنا لك ذاكرة مشابهة, دعهم

يبحثون بها ولن يجدوا ما يريدون

-ضحك فارس ضحكة خبيثة وأغلق الهاتف

سأرى الان ماذا ستفعل أيها المغرور, قالها المساعد
وهو يحدث نفسه, لطالما كنت تتعامل معي بعجرفة
وكأنك إله, تظن لمجرد أنك رائد بأنك أفضل مني
وأذكي مني, ولكنك اخترت الجانب الخاسر أيها
الرائد, سيحين دورك قريباً وسأكون الشخص الأهم
في المركز وسأقاتل من أجل فكرتنا الخالدة

توجه المساعد فارس للمكان الذي أعطاه إياه جاك
وقام بتبديل الذاكرة قبل التوجه للمركز وكان شيئاً لم
يحدث

كانت شاشات التلفاز تنقل الحدث بتفاصيله, والجميع يتحدث عن قضية واحدة " إطلاق نار على بوابة مبنى المخابرات العامة, والحديث يدور عن قتلى وجرحى في المكان, والتحليلات الإعلامية تأخذ فرصتها في نسج القصص والسيناريوهات والأبعاد والدوافع, وبالرغم من التكتّم الرسمي عن التفاصيل, إلا أن الإعلام الحديث لم يعد محكوماً بالضوابط والتعليمات.

وخلال ساعات قصيرة فقط كانت صور آدم تملأ الشاشات, باعتباره الشاهد الوحيد الذي كشفت هويته لقنوات الإعلام, إلا أن أحداً من الإعلاميين لم

يستطع الولوج للغرفة التي يرقد بها آدم بين الحياة
والموت

كانت شام تجلس في شقة قديمة تعود لعمتها متوارية
عن الأنظار ومنقطعة عن العالم الخارجي باستثناء
التلفاز الذي يشعرها بالملل سريعاً.

إلا أن هذه المرة كانت كغيرها من المرات, فلم يكن
هناك مجال للملل أو الالتفات لأي مشاعر غير
مشاعر الخوف والقلق والاضطراب والشعور
بالذنب

لقد نزل الخبر عليها كالصاعقة, وبمجرد أن سمعت
اسم حبيبها على شاشات التلفاز دوت منها صرخة
رعب مُسقطه من يدها كوب القهوة الذي بات يعينها
على التركيز بعد أن كانت تستغرب من عشاق
القهوة ومحبيها

كيف حدث هذا؟ كانت تسأل نفسها بشكل هستيري
ولا تدري ماذا تفعل, وتدور في المنزل بدون هدى
كطفل فقد أمه في وسط الزحام يسير يميناً وشمالاً
دون أن يدري ماذا يفعل

لقد كان آدم هو حلقة الوصل الوحيدة بينها وبين
الرائد, وكل الخيوط سقطت من يدها في لحظة
واحدة.

استندت شام على الكرسي كشخص قام باحتساء
زجاجة من الخمر لأول مرة في حياته, وشعرت بأن
الدنيا كلها تدور من حولها دون أن تملك أي فرصة
لحفظ توازنها لشدة الاضطراب والقلق.

إنه طوق النجاة الوحيد, وبين يديه كان طرف الخيط
الوحيد, وهو الرابط الوحيد بينها وبين براءتها, لكن
كل هذا لم يخطر في بالها في تلك اللحظة, فكل ما

فكرت به أنها على وشك أن تفقد عاشقها الوحيد
وعشيقها الوحيد إلى الأبد.

كان الرائد يجلس في مكتبه والغضب يكاد أن ينفجر
من عينيه, ويقلب أوراق ملف كان أمامه منذ أكثر
من ثلاث ساعات, وقد بات الأمر واضحاً أمام
عينيه.

فجأة دخل عدنان إلى غرفة الرائد سعيد, وعلى
الفور قام الرائد من خلف مكتبه ليستقبل زميله
وصديقه القديم عن الباب وأجلسه وجلس على
الكرسي المقابل له.

يعتبر عدنان من الضباط المخضرمين في مجال علم النفس وقراءة لغة الجسد, كما يعرف بدهائه ومكره الشديدين, يملك قدرات فائقة من فهم الشخص الذي أمامه من جلسة واحدة, فكل شيء أمامه له مدلولات, ودائماً ما كان يؤمن بأن الإنسان عبارة عن نص مكشوف فقط لمن يستطيعون القراءة

-لقد قطعت عني إجازتي, أتمنى أن يكون السبب مقنعاً, قالها عدنان ساخراً

-أنا آسف ولكن الوضع هنا معقد جداً وأحتاج خبرتك

-هل أعتبر هذا إقراراً منك على ذكائي الذي كنت تشكك به دائماً؟ أردف عدنان على سبيل المزاح

-أنت تعلم جيداً أن خبرتك وذكاءك لم يكن في يوم موضعاً للشك, كف عن مهاتراتك واسمعي الآن

روى سعيد كافة التفاصيل أمام صديقه حتى لحظة
محاولة الاغتيال, عندها قال بصوت متردد

- لدينا عملية اختراق ومن داخل مكثبي

-مستحيل! من هو؟

-حسناً أنا لم أكن أملك دليل مادي, ولكن الشبهة كلها
كانت تدور حول المساعد فارس, إنه مساعدي
والوحيد الذي لديه علم بكل مجريات التحقيق.

-وعلى أي أساس بنيت شكوكك نحوه؟

-قبل قدوم آدم كلفته بمهمة مراقبة بيت آدم, وأبلغني
بأنه أرسل دورية متخفية بمكان يطل على جهات
البيت الأربعة, ولكن تبين أن شام دخلت وخرجت
من البيت دون أن يراها أحد

-ربما لم يروها حقاً, ألا نتحدث عن شخص متمرس
هنا؟

-دعني أكمل حديثي أولاً ثم قدم ملاحظاتك, خرج آدم من البيت باتجاه مكثبي بعدها بنصف ساعة, صحيح أنه كان على تواصل بي ولكنهم لا يعلمون بتواصله, وقد خرج من الباب أي أنه من المفترض أنه مر من أمامهم

- كان من المفترض أن أتوجه للبيت, ولكن بعد اتصال آدم, قمت بالاتصال بالمساعد وابلغته بالقدوم إلى المكتب

-عندما جاء آدم إلى هنا أعطاني هاتف الشخص الذي حاول قتل شام في المرآب, بعد أن قامت بقتله, ومن ضمن المكالمات التي استقبلها هذا الرجل كان رقماً قام بإجراء مكالمات متعددة, وأظهرت سجلاته أنه قام بالاتصال على الهاتف الأرضي لمنزل المساعد أكثر من مرة

-هل تقصد أن المساعد استخدم الرقم الذي وجدته
في سجلات القتل للاتصال بمنزله من قبل؟
-تماماً

-بعد عملية إطلاق النار, جاء إلى المشفى مسرعاً,
فكلفته بمهمة إرسال ذاكرة تضم بيانات عن الشبكة
الإرهابية لقسم تقنيات المعلومات, وأمرت عناصر
أخرى بمراقبة خط سيره

-هل أعطيته الذاكرة حقاً؟

-هل تعتقد أنني غبي لهذه الدرجة؟ بالتأكيد لا, لقد
أعطيته واحدة فارغة كانت بحوزتي

-وماذا فعل بها؟

-لازالت معه, لكنه لم يتم بتسليم الذاكرة التي أعطيته
إياها ولكنه قام بتبديلها قبل أن يصل إلى مركز
التقنيات

-لماذا لم تقم باعتقاله حتى الآن؟

-أنت هنا من أجل ذلك تحديداً, إن اعتقاله لن يخدمنا بشيء, ولا أعتقد أننا نملك الوقت الكافي لإجباره على الحديث, وبمجرد أن يشعروا بأنه أصبح مكشوفاً لن نستطيع الاستفادة من المعلومات التي سيقدمها لنا

-تريد استخدامه لكشف الآخرين؟ سأل عدنان
باقتضاب

-تماماً ولكنني بحاجة لوضع خطة لا يتخللها أي خطأ, وأريد مساعدتك في هذا الأمر, ولكي يكون الأمر نظامياً فقد حصلت على موافقة خطية بمشاركة في هذه العملية, وستكون كافة الاحتياجات موفرة وستكون القيادة العليا على تواصل مباشر معنا

-أنا مستعد لتقديم كل ما أستطيع, ولكن هناك أمر لم
تنتبه إليه يا سيادة الراءد

-وما هو؟ سأل سعيد باستغراب

-أنت تتحدث عن شبكة محترفة, ولديهم قدرة كبيرة
على التخطيط, في حال قاموا بفتح تلك الذاكرة
وتبين لهم أنها فارغة, ألن يعتقدوا بأن المساعد في
موضع الشك؟

-انت محق, ولكن يبدو احتمالاً كبيراً برأيي

-قد تكون الاحتمالية قليلة بنظرك, ولكن ماذا عن
الخطورة؟

-لم أفهم قصدك

-في حال أنهم شعروا بأن المساعد مكشوف لنا,
فستكون الخسارة فادحة, بالنظر طبعاً لسياساتهم
التي تقوم على تصفية العناصر المحروقة

-والحل؟

-الحل أن تجلبه هنا وسأتكفل لك باستخراج كل كلمة في جوفه قبل أن تغيب شمس هذا اليوم

-وإن كان لا يملك أي معلومة تفيدنا؟ سأل سعيد

-عندها يحاسبه القانون على جرائمه, ونحن نكمل بحثنا بطريقة أخرى

-حسناً كيف سنبدأ العمل معه؟ سأل سعيد

-لا شيء فقط قم باستدعائه الان واترك الباقي علي

عندها قام الرائد بإخراج هاتفه واتصل على المساعد ليحضر إلى مكتبه خلال ساعة دون أن يظهر أي شيء يثير شكوك المساعد, وكلف وحدة المراقبة بأن تحافظ على مسافة مناسبة منه وعدم إثارة أي شكوك

له

كانت شام تدرك بأن ذهابها للمستشفى يعتبر انتحاراً، فهناك بالتأكيد من ينتظر قدومها لإنهاء ما فشل به الرجل السابق، والتوجه للرائد يعتبر مخاطرة كبيرة قد تتسبب في بقائها في السجن مدى الحياة، إلا أنها وجدت نفسها مجبرة على التحرك بأي اتجاه كان.

بعد ان اتخذت قرارها، قامت بإخفاء شخصيتها باستخدام باروكة ذات شعر أسود قصير، وضعت فوقها قبعة وارتدت نظارة شمس، واستخدام كمادة

طبية, وتقصت دور امرأة كبيرة في السن تستند
على عكازها

بدأت السيارة تقطع بها شوارع المدينة وهي غارقة
في ذكرياتها مع آدم, لتفر من عينها دمعة كادت أن
تحرق وجنتها من فرط شوقها وحبها وخوفها عليه,
وبدأت باسترجاع قصائده الغزلية التي لطالما غفت
على أوراقها هائمة مع مشاعره الجياشة التي جعلت
من هذه القصائد حية بين يديه

لقد أحبها بجنون, وهي لم تكن في يوم من الأيام أقل
منه حباً له, لقد كانت مؤمنة بذلك وليست بحاجة
لدليل تجرب به نفسها على التصديق, أليس هو
اختزال الكون بالنسبة لها؟ أليست هي من قال فيها
ذات يومٍ

هذا مكانك غُلقت أبوابه

وقضى الهوى والعشق أن لا تتركه

الشوق يحرس بابه متنبه

يأبى هواه تغادريه

هيات فيه العرش سيدتي

فتربعي يا تاجي الماسي

فيه وزينيه

نبضاته ليديك قد أسلمتها

إن يعص حبك أوقفه

لولا هواك العذب عشت مطارداً

وأضعت كل العمر تيه

فخذي فؤاداً غلقت أبوابه

وحذار يوماً تتركه

ألم يكن هو أول من صدقها بالرغم من كل
المصاعب التي مر بها بسبب ماضيها وحاضرها
وصراعاتها التي لم يختز أن يخوضها لولا أنها
طرف بهذه الصراعات؟

أفاقت شام من شرودها على صوت السائق وهو
يسألها:

-سيدتي وصلنا إلى المكان الذي طلبته, هل تريدين
مني مواصلة السير أم ماذا؟

-عذراً لم أنتبه للطريق, شكراً لك يمكنك التوقف هنا

نزلت من السيارة وهي بحالة ارتباك من القرار

الذي اخذته, وأوشكت أن تطلب من السائق أن

يتوقف ويعيدها من حيث أنت, إلا أن إحساسها

بالذنب تجاه آدم وخوفها عليه, ورغبتها بإنهاء هذا

الكابوس الذي تسببت به دفعتها للمواصلة

لم يكن المساعد فارس قد قابل عدنان قبل الآن, إلا
أن الطريقة التي نظر بها عدنان إليه أشعرته بأن
ثمة خطب ما, وأن استدعاءه ليس طبيعياً, وبعد
وقوفه أمام الرائد فاجأه عدنان بقوله

- أهلاً بالمساعد العظيم, أتمنى أن تكون علاقتنا
قصيرة وينتهي بسرعة معك, لأنني أكره العمل
الطويل

-لم أفهم قصدك, قالها المساعد وهو يتصبب عرقاً
ويفرك في أصابعه ويجول بنظره بين الرائد وبين
عدنان

-مع أن يديك تقول عكس ذلك, وتكاد تغرق في
عرقك قبل أن يبدأ عملنا معك

-سيادة الرائد, هل يمكنني فهم ما يحدث؟ قالها
بصوت مرتجف بعد أن أدرك المصير الذي ينتظره

-عمل سيادة الرائد قد انتهى معك, وأنت الان تحت
تصرفي, لذا ستجلس الان وتسمع ما سأقوله تماماً

-أنا لا أفه.....

-اجلس! صرخ عدنان به بصوته الأجهش داباً الرعب
في أوصاله, لينصاع الأخير للأوامر دون أن ينطق
بحرف

-إسمعني الآن جيداً, لديك شيء أريده, إما أن آخذه
في هذا المكتب وتخفف عن نفسك عذاب جهنم الذي
ينتظرك, أو سأخذك للغرفة التي تعرفها أنت جيداً,
ولكن لا تعرف طريقتي التي أحبها هناك

قبل أن تقرر وتحدد موقفك دعني أخبرك عن
الطريقة التي أحبها في أخذ ما أريد من أمثالك, فأنا
لا أحب الجلد والشبح والكي ونزع الأظافر, فهذه
أساليب بدائية لا ترتقي للقضايا التي نحقق بها.

قبل مجيئك إلى هنا أعددت لك هدية صغيرة, عبارة
عن كرسي من الحديد بدون غطاء للقاعدة تجلس
عليه, وقمت بتثبيت هذا الكرسي في الأرض بطريقة

جيدة, إن جلست عليه فأنا أعدك أنك لن تقوم عنه
كما كنت في السابق, أتدري لماذا؟

لأن أسف قاعدته سيكون هناك شمعة صغيرة,
ستلتهم عقدة تجمع الأعصاب أسفل خصيتيك رويداً
رويداً.

سأكون صريحاً معك, لن تمتلك من الوقت سوى
أربعة دقائق قبل أن تشعر بأنك في الجحيم, ولن
يجدك اعترافك بعدها, لأن الوقت سيكون قد فات,
والآن أخبرني يا بطل, أين تريد أن نكمل حديثنا؟
هنا؟ أم هناك؟

كان الرائد ينظر لصاحبه عدنان, وقد أوشك على
تصديقه لولا أنه يعرف أنه لم يتحرك من مكانه منذ
قدومه إلى هنا

-هل يمكنني أن أعرف بماذا أنا متهم؟

-أولاً عليك اختيار المكان الذي سنتحدث به,
وستعرف بعدها ما تريد بالطريقة التي تختارها,
قرر بسرعة لأنني لا أملك الكثير من الصبر

-هنا, قالها المساعد وقد فقد كل ما يملكه من
الشجاعة والصلابة وفشلت كل محاولاته للتأثير
على الرائد

-حسناً ما دمت اخترت الحديث هنا فأليك الشروط,
أولاً أنا لا أحب كلمة لا أعرف وأكره كلمة أنا
بريء, ولا تقسم أبداً, وإياك والكذب, فمع أول كذبة
لك سأكون بانتظارك في الأسفل هل فهمت؟

-فهم... , وقبل أن يكملها كان عدنان قد وجه إليه
صفعة على وجهه, ثم أمره أن ينهض عن الكرسي
ويجثوا على ركبتيه ليكون رأس المساعد ملامساً
لركبتي عدنان

في تلك اللحظات كان الرائد قد أخرج كل ما في حوزة المساعد ووضعها على الطاولة أمامه, ليكتشف الهاتف الآخر الذي كان بحوزته

-سأقوم بكتابة أسئلتك لك على ورقة وسأعطيك نصف ساعة للإجابة عنها مرة واحدة, فأنا منذ زمن لم ألتقي بالرائد سعيد ولا أريد إفساد زيارتي.

سيكون لديك الوقت الكافي للتفكير بالإجابة الصحيحة, في الغرفة المجاورة دون أن تتعرض لأي أذى, وأريد كل شيء بالتفصيل, لا تقلق فالأسئلة بسيطة وسهلة جداً ولا تحتاج سوى لإدراك عقوبة الكذب فيها

-أين الذاكرة؟

-أين القنابل؟

-من تعرف في هذه الجماعة وأين يسكن؟

-من أين تحصلون على التعليمات؟

-بعدها أريد سرداً مفصلاً لحياتك من لحظة ارتباطك
بهذه الجماعة إلى الآن.

-سي...-

-قاطعته عدنان قائلاً, لا تتحدث الآن, فقط خذ وقتك
واكتب على الورقة, ثم أوماً للرائد ليدخل حارسان
يقتادانه للغرفة المجاورة

كان آدم لا يزال تحت المراقبة الطبية المشددة ولم يستعد عافيته ووعيه حتى اللحظة, وكانت الممرضة تقوم بدورها في وضع المحاليل ومراقبة قراءة الأجهزة, وقبل أن تخرج طلبت من عاملة النظافة أن تقوم بتعقيم الأرضية وتبديل سلة النفايات وتقوم بتنظيف الغرفة تماماً قبل مرور الأطباء

دخلت عاملة النظافة مغلقة الباب وراءها, لتجلس بالقرب من رأس آدم تتحسس شعره ووجهه

-آدم ... لقد جنّت من أجلك, لأقول أنني آسفه, ليتني أستطيع افتدائك بروحي وجسدي يا حبيبي, لتنهمر الدموع من عيون شام بغزارة وهي تقبل يدي آدم الذي لا يقوى على فتح عينيه حتى الآن

بعد أكثر من عشر دقائق داخل الغرفة, خرجت شام تحمل أدوات التنظيف وتسير في ممر طويل يوصل إلى غرفة تجمع أغطية الأسرة من أجل غسلها, وكانت أثناء سيرها قد أحست بخطوات تتبعها داخل المستشفى, عندها أحست شام بالرعب يسري في جسدها فعجلت من خطواتها على أمل أن تجد منفذاً تهرب منه.

في نهاية الممر كان على شام أن تتعطف يمينا, فقامت بالركض بأسرع ما يمكنها للانعطاف والاختفاء دون أن يراها الشخص الذي يلاحقها, وبمجرد التفافها تفاجأت بيد تنقض عليها مغلقة فمها تماماً ثم قام بسحبها داخل غرفة جانبية مظلمة

كان عناصر جهاز المخابرات يحيطون بالمشفى بشكل كامل, متخفين بطرق متعددة, فقد كان الرائد على يقين بأنهم يراقبون المكان بشكل كامل على أمل أن تأتي فريستهم إلى هذا المكان تحديداً

ولنفس السبب لم تكن شام على استعداد أن تدمر كل محاولاتها بالوصول إلى ألكسندر الذي غدر بوالدها وتسبب بموت أمها, وانخرط في هذه الجماعة الإرهابية التي تحمل أفكاراً شيطانية, ولذلك قبل الذهاب إلى المستشفى كانت قد قررت التوجه للرائد سعيد الذي تنفس الصعداء بقدمها

-هل آدم بخير؟ سألته شام بلهفة وقلق

-الأمر الان يتجاوز حياة آدم وحياتي وحياتك يا
شام, الامر يتعلق بأرواح ملايين البشر, وبالنسبة
لآدم فأنا واثق أنه سيكون بخير

-كيف هو حاله الان؟

-إنه في العناية المكثفة, والأطباء قالوا لي بأن
وضعه مستقر, وفي أي لحظة سيعود إلى وعيه

-سيادة الرائد أنا بريئة وأقس...-

-لا تكلمي لقد شرح آدم لي الموقف تماماً, لقد
أعطيته وعداً بأن أكون بجانبك ولكن عليك في
النهاية أن تقبلي بحكم القانون, فهناك شخص قمت
بقتله من قبل

-أنا مستعدة لكل هذا ولكنني أريد رؤية آدم أولاً,
وخشيت أن تكون المستشفى مراقبة من عناصر
الجماعة وأعرض للقتل قبل أن أكشف الجناة

-حسناً سأدعك تزورينه ولكن بشرط..

-ما هو؟

-حسناً ستكون زيارتك ليس للإطمئنان على آدم,
ولكن ليكون طعماً لعناصرهم المتخفية لكي تُخطئ
وتكشف نفسها

وقام الرائد بوضع خطة لدخول شام لغرفة آدم,
وتحديد العناصر التابعة للجماعة, بعد أن قام أحد
عناصر المخابرات بإخفاء شام في الغرفة لينقض
رجال المخابرات على الأشخاص الذين حاولوا
قتلها, واقتيادهم إلى مبنى المخابرات للتحقيق معهم

بعد مرور قرابة الساعة من جلوس المساعد في
الغرفة المجاورة لغرفة الرائد والبدء بتدوين
اعترافه, كانت شام تجلس مع الرائد سعيد برفقة
عدنان تدلي بشهادتها وتقدم كل المعلومات التي
حصلت عليها خلال محاولتها الوصول للشخص
المدعو ألكساندر.

كانت شام على معرفة بكثير من طرق التحدث التي
يستخدمها قادة المنظمة في الرسائل بينهم, وتذكر
آلية التواصل بشكل جيد

وأثناء تقديم إفادتها, رن هاتف المساعد مظهراً
رسالة واردة, أمسك الرائد الهاتف وقرأ الرسالة
على مسمع شام

"لقد اختارك القدر للمهمة المقدسة, سافر من أجلها
للأرض السقاية وعلى بوابتها تجد ماء الحياة العادلة,
وبدأ بترميم نفسك أولاً, إبدء السفر من الآن
وستحصل على دليلك في الطريق"

-ماذا يعني ذلك؟ سأل الرائد باستغراب

-إنه مكان وموعد استلام القنابل, لا بد وأن المهمة
المقدسة يقصدون بها عملية التفجير

- وأرض السقاية؟ سأل عدنان مستغرباً

-انها دمشق, قال الرائد مردفاً إن دمشق تعني أرض
السقاية باللغة السريانية

-حسناً ! قم بترميم نفسك أولاً !

-لا بد وأنه المصل الخاص بالفايروس, يطلبون منه
أخذ المصل قبل التفجير

انتفض الجميع بحالة خوف شديد, وتوجه عدنان
بسرعة جنونية للغرفة المجاورة

-إفتح الباب, صرخ عدنان بالحراس, والرائد يحاول
اللاحاق به

ارتعب المساعد من حالة الهيجان التي دخل بها
عدنان إليه, لكنه لم يتمكن من إبداء أي ردة فعل,
وهنا انهمر عليه عدنان بوابل من الصفعات والركل
وسيل من السباب والشتائم

-أيها المجرمون, تريدون قتل البشر بحجة حماية
الكون أيها الأبالسه, تظنون أنكم آلهة لديكم الحق
بتقرير مصير ملايين البشر والحقيقة أنكم مجرد
معاونين ووكلاء للشيطان

وهنا تدخل الرائد ليمنع عدنان من القضاء على
المساعد وتهديته, ليمسك بتلابيب المساعد واضعاً
الهاتف أمام وجهه

-إسمعي أيها الحقير, أمامك فرصة واحدة فقط
لتفعل الشيء الصحيح, وتخفف من عقوبتك في الدنيا
والآخرة, ستنفذ أوامر سيدك الذي يعطيك الأوامر,
وستأخذنا لمكان القنابل قبل إرسالها خارج الحدود
وإلا فإنني أقسم أنك ستتوسل من أجل الموت ولن
تجده

أوماً المساعد برأسه مشيراً بالموافقة دون أن يتمكن
من نطق كلمة واحدة

حاولت شام أن تصعد معهم في السيارة, إلا أن
الرائد كان حاسماً في قراره, وأمر الحراس أن
يتحفظوا عليها في غرفته لحين العودة

لم يمض سوى ساعة ونصف من انطلاق الفريق
متخفين بسيارة المساعد, ومكوث شام في مكتب
الرائد, قبل أن يدوي صوت هاتفها في الغرفة,
نظرت شام إلى الرقم الذي بدى غريباً, ولكنها لم

تتردد في فتح المكالمة وظلت صامتة منتظرة أن
يبدأ المتصل بالحديث

-موافق! قال المتصل بصوت مرهق ومتقطع

كانت هذه الكلمة كفيّلة بانغماس شام في نوبة بكاء
شديدة, ولعلها المرة الأولى التي تصل بها لحد البكاء
من الفرح, فلطالما بكت من الخوف والوحدة
والحزن على والديها وعلى مصيرها, ولكن هذه
المرة تختلف

-فداك عمري يا حبيبي, قالتها وهي غارقة بالبكاء,
كيف حالك؟ هل أنت بخير؟ هل تشعر بالألم

-لقد حاولوا قتلي ولكن يبدو أن هناك مصائب لآبد
لي من خوضها معك قال آدم

اختلط بكاء شام بضحكتها, لتبدأ بالحديث بشكل

هستيري

-الحمد لله أنك بخير, أنا اسفة يا آدم, سينتهي كل شيء ونعود لحياتنا من جديد, أنا اعدك بذلك

-وانا أحبك جداً, اطمئني أنا بخير ولكن عديني أن تذهبي للرائد فهو قادر على مساعدتك يا شام

-لا تقلق يا حبيبي, أنا الان في مكتب الرائد وكل الأمور على ما يرام فقط اهتم أنت بعلاجك وعد لي سريعاً

أغلقت شام المحادثة, وهي لا تصدق نفسها, لقد استيقظ آدم أخيراً, وبات أمر القنبلة قيد الحل وبراءتها قاب قوسين أو أدنى

